من الإماميّة إلى الاثنى عشريّة

دراسة نقديّة لنظريّة «إيتان كولبرغ» في ظهور الشيعة

محسن أوليري [*]

الملخّص

يتناول هذا البحث مقالة «**من الإمامية إلى الاثنى عشرية**» للباحث الإسرائيلي في دراسات التشيّع والإسلام المستشرق **إيتان كولبرغ (Etan Kohlberg)**، والذي تعدّ أعماله نقطة تحوّل في دراسات التشيّع بين المستشرقين اليهود. وهو أوّل باحث بين الباحثين الإسرائيليّين في الشأن الإسلامي يركّز على مجال دراسات تاريخ التشيّع.

فقد ذكر المؤلّف في مقالته قضيّة الاعتقاد العامّ نسبيًّا بين المسلمين بوجود اثني عشر إمامًا أو خليفة من نسل النبيّ الأكرمﷺ، والاعتقاد بوجود إمام غائب سوف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، وعمد إلى بيان كيفيّة تسلّل هذا الاعتقاد إلى مجموع أصول عقائد الإماميّة في منتصف القرن الرابع للهجرة، وفي الختام قدّم تحليله عن دوافع اعتناق الإماميّة لهذا المعتقد. وهذا ما يدعو إلى دراسة المقال وتحليله، ونقد الأفكار الخاطئة أو المشتبه بها التي سعى لإثباتها، وهو ما يتطلّب التوقّف مع هذه الأطروحة من ناحية الأسلوب ومنهج الاستدلال، وفهم المصادر وكيفيّة فهم المؤلّف

*- عضو لجنة التاريخ العلميّة، جامعة باقر العلومعليه السلام، إيران/ ترجمة: السيّد حسن علي مطر الهاشمي.

لهذا الموضوع، حيث سنقدّم بعض الملاحظات ضمن العناوين الخمسة الآتية: الأئمّة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر في النصوص الشيعيّة الأولى، وقفة مع بعض أدلّة المؤلّف وفهمه للمصادر، وتحليله لدوافع الإماميّة في هذا الاعتقاد، وتقويم رؤيته العلميّة لهذا الموضوع.

كلمات مفتاحيّة: التشيّع، إيتان كولبرغ، المهدويّة، الإماميّة، الاثني عشريّة، الإمام المهديّ الموعود.

المقدّمة

بغضّ النظر على المواقف المتشدّدة والمتشنّجة من بعض الناقدين والمؤلّفين المسلمين تجاه ظاهرة الاستشراق، واتهام المستشرقين بالبحث من منطلق غايات سيّئة[١]، واستنادًا على الأفهام الخاطئة للنصوص الإسلاميّة، وتقديم التحليلات غير الصائبة لمختلف أبعاد التاريخ والثقافة والفكر الإسلامي[٢]، فإنّ هذا الاعتقاد متّفق عليه بين الجميع تقريبًا، وهو أنّه قد تمّ تجاهل الشيعة في الدراسات والأبحاث الاستشراقيّة إلى حدّ كبير، وقد تمّ تقديم صورة خاطئة عن الشيعة والتشيّع. ويبدو أنّ عبارة إدوارد براون -المتوفى سنة ١٩٢٦م- لا تزال سارية المفعول؛ حيث قال: «لا نزال نفتقر إلى مؤلَّف تفصيلي كافٍ وموثوق كُتب بواحدة من اللغات الأوروبيّة

[١]- انظر على سبيل المثال: حيدر، أسد، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، ج٣، ص٣٨٦؛ أبو خليل، شوقي، كارل بروكلمان في الميزان، ص١٧٢؛ العقاد، عباس محمود، ما يقال عن الإسلام، ص٣؛ الجندي، أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين، ص١٦؛ سعيد، إدوارد، شرق شناسي: شرقي كه آفريده غرب است، ص٨٣. (إن هذا الكتاب يُعدّ ترجمة للقسم الأخير من النص الكامل لكتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، وقد تمّت ترجمته ونشره قبل صدور النص الكامل للكتاب بعقد من الزمن. وللاطّلاع على نصّ الترجمة الكاملة لهذا الكتاب، انظر: سعيد، إدوارد، شرق شناسي).

[٢]- انظر على سبيل المثال: الجندي، أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين، ص١٦؛ حيدر، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، م.س، ج٣، ص٣٨٦. وللتعرّف على المزيد من المصادر، انظر: حيدر، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، م.س، ج٣، ص٣٨٨. وللمزيد من الاطّلاع في هذا الشأن يمكن كذلك الرجوع إلى المقالات الآتية: داوري، رضا، وضع كنوني تفكر در ايران، ص٥٧ وما بعدها؛ رحيم لو، يوسف، «رويه اي از خاورشناسي و روشهاي علمي آن: شرق شناسي، دانشي با أبعاد سياسي و تجارتي»، مجلة: نگين، العدد ٨٦، ص١١-١٢، وص١٥؛ انجوي شيرازي، «علت وجودي استشراق و مستشرق»، مجلة: نگين، العدد ٨٥، ص٥-٨؛ كاظم زاده ايرانشهر، حسين، «شرق شناسي و غرب شناسي»، ص١٢-١٤؛ كيهان، أ.، «فرهنگ ملي وفانوس كشان استعمار»، مجلة: نگين، العدد ٨٦، ص١٣-٥٥. لقد تم التعرّف على هذه المقالات من كتاب فهرست مقالات فارسي لإيرج افشار، انظر: افشار، إيرج، فهرست مقالات فارسي، ج١/ ٤.

حول التشيّع»[١]. إنّ الاستناد الأصلي للمستشرقين على مصادر أهل السنّة[٢]، وعدم التعرّف على التشيّع بوصفه تيارًا دينيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا قويًّا[٣]، والغايات الخبيثة لبعض المترجمين المسلمين لأعمال المستشرقين[٤]، وضعف الجهاز الإعلامي لدى الشيعة[٥]، وتعقيدات وغموض تاريخ القرون الثلاثة الأولى للتشيّع[٦]، قد أدّى من جهة إلى انخفاض عدد المؤلّفات الخاصّة بالتشيّع[٧]، كما أدّى إلى ضعف اعتبار الدراسات والأبحاث في هذا الشأن من جهة أخرى[٨]. وعلى الرغم من ارتفاع عدد المؤلفات التي كُتبت في العقود الأخيرة حول التشيّع، ولكن لم يتّضح ما إذا كانت هذه الزيادة تحظى بالاعتبار التحقيقي أيضًا أم لا، وإن الحكم بهذا الشأن يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق.

إنّ من بين المسائل المهمّة والمثيرة للجدل طوال تاريخ الإسلام والتي تعدّ من العقائد الأصليّة للشيعة الاثنى عشريّة الإماميّة، مسألة الاعتقاد بـ«الإمام المهديّ الموعود» و«قائم آل محمّد»، والتي كانت منذ الأيام الأولى من ظهورها إلى الآن

[١]- انظر: حكيمي، محمّد رضا، «٤٠٠ كتاب در شناخت شيعه»، يادنامه علامه اميني، إعداد السيد جعفر شهيدي ومحمّد رضا حكيمي، ص٥٠١. (نقلاً عن: النص الإنجليزي لكتاب تاريخ أدبيات إيران، ص٤١٨).

[٢]- انظر: فاروق، عمر، العباسيون الأوائل، ج١، ص٢١٨-٢٢٤؛ صفائي، سيد أحمد، هشام بن الحكم: متكلم معروف قرن دوم هجري، ص١-٤؛ العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٣ (مقدمة الدكتور السيد حسين نصر). (جاء في الطبعة الجديدة نسبيًّا لهذا الكتاب والصادرة عن دفتر انتشارات اسلامي التابع لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، بدلاً من اسم الدكتور نصر بوصفه كاتب المقدمة، العبارة الآتية: بقلم أحد تلاميذ الأستاذ).

[٣]- انظر: العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، شيعه در اسلام، ص٣-٤.

[٤]- انظر: حكيمي، محمّد رضا، «شناخت شيعه»، شيخ آقا بزرگ، ص٢١٦.

[٥]- انظر: م.ن، ص٢٣٥-٢٥٠.

[٦]- انظر: واط، مونتغمري، «نكاتي از فهرست شيخ طوسي مربوط به دوران اوليه امامت»، ج٣، إعداد: محمّد واعظ زاده خراساني، ص٥٢٧.

[٧]- لقد تحدّث كاتب مقالة «تحقيق عقايد و علوم شيعي» -استنادًا إلى الكتب والمقالات الصادرة حول الإسلام في واحدة من اللغات الغربية منذ عام ١٩٤٣م وحتى عام ١٩٦٨م- قائلاً: «إنّ من بين ما يقرب من ٣٥٠ كتابًا ومقالة [حول الإسلام] ليس هناك سوى عمل واحد يختصّ بالشيعة الإماميّة الاثنى عشرية، وهو أقل بكثير من الكتابات التي نشاهدها حول الشيعة الزيديّة والإسماعيليّة. (انظر: فلاطوري، عبد الجواد، «تحقيق عقايد و علوم شيعي»، يادنامه علامه اميني، إعداد السيد جعفر شهيدي ومحمّد رضا حكيمي، ص٤٣٧).

[٨]- انظر: حيدر، أسد، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، ج٣، ص٣٧١؛ آدمز، تشارلز، «نقش شيخ طوسي در دگرگوني نظري علم حقوق»، ج٣، إعداد: محمّد واعظ زاده خراساني، ص٣٨٨.

موردًا للبحث والنقاش[١]. إنّ هذه المسألة التي أثارت اهتمام المستشرقين أيضًا، قد خضعت حتى الآن إلى بحثهم من قبلهم من مختلف الأبعاد والزوايا[٢]. وفي الآثار المطبوعة في هذا الشأن، يمكن ملاحظة الآراء الجديرة بالنقد والبحث والتأمّل كما نلاحظ بعض الإبهام والغموض أيضًا. إنّ الأسئلة التي يثيرها المستشرقون والمفكّرون المسلمون المتأثّرون بهم في هذا الشأن، يعود بعضها إلى ادّعاء ضعف الأحاديث المرتبطة بالإمام المهديّ المنتظرعجل الله فرجه[٣]، ويعود بعضها إلى تأثير الأديان الأخرى من قبيل الزرادشتيّة[٤]، والمسيحيّة، واليهوديّة[٥]، في ظهور وتبلور هذه العقيدة، ويعود بعضها الآخر إلى المرحلة الغامضة والمثيرة للتساؤل حول تبلور هذه العقيدة[٦]. إنّ ترجمة بعض أعمال المستشرقين في هذا الشأن إلى اللغة الفارسيّة، كانت مقرونة في بعض الأحيان بتداعيات سياسيّة واجتماعيّة[٧]، وقد خضعت للنقد والنقاش في بعض

[١]- انظر على سبيل المثال: الصافي، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، المقدمة، ص١-٩.

[٢]- انظر على سبيل المثال: مقالة

Mahdi A Number of orientalists, Encyclopedia of Islam, New Edition (EI2), V.5, p.1230–1238, Leiden, E. J – bril. 1986 ولا سيّما (EI2) في Bibliography, p.1237-1238.

[٣]- إذا ما استثنينا الشبهات الخاصة بضعف الروايات المرتبطة بالإمام المهديعجل الله فرجه في القرن الرابع والخامس للهجرة، وجهود علماء الشيعة في الإجابة عنها والعمل على رفعها، ربّما أمكن لنا تسمية عبد الرحمن بن خلدون المغربي (م ٨٠٨هـ) بوصفه أقدم شخص قام بطرح هذه الشبهة. (انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد (المتوفى سنة ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، ص٣١-٣٣٠، (فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك). وللوقوف على تفسير في هذا الشأن، انظر: مهدي، ص٣٢٢-٣٢٣، وكذلك هامش مترجم الكتاب في ص٣٢٢. للوقوف على رأي المعاصرين في هذا الشأن، انظر: مقالة «المهدي» **(Islamic Messianism)** في **(The Encyclopedia of Religion)**، ج٩، ص٤٧٧-٤٨١. وقيل أيضًا إن آراء أمثال أحمد كسروي، وأحمد أمين، ومحبّ الدين الخطيب، قد تبلورت بتأثير من أفكار المستشرقين. للوقوف على التحليل في هذا الشأن، انظر: منتظر، حسين، ذهنيت مستشرقين و اصالت مهدويت، ص٥٥-٥٦؛ حيدر، أسد، الإمام الصادقعليه السلام والمذاهب الأربعة، ج٣، ص٣٨٨؛ الصافي، لطف الله، مع الخطيب في خطوطه العريضة، ص٣٨٨. ولبحث ردّ دعوى ضعف الأحاديث بين الشيعة، انظر: عموم الكتب الروائية الخاصة بهذا الموضوع، وفيما يتعلّق بأهل السنة، لبحث مختصر، انظر: العباد، عبد المحسن بن حمد، الرد على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، الإمام المهدي عند أهل السنة، إعداد مهدي فقيه إيماني، ج٢، ص٤٣٧-٤٩٥.

[٤]- انظر على سبيل المثال: فراي، ريتشارد، ن.، ميراث باستاني ايران، ص٣٧٨.

[٥]- انظر على سبيل المثال: منتظر، حسين، ذهنيت مستشرقين و اصالت مهدويت. (نقلاً عن العقيدة والشريعة، ص٩٣، ولا سيّما من: المهدي من صدر الإسلام إلى القرن الثالث عشر للهجرة، ص٦١). وانظر أيضًا: شايگان، داريوش، هانري كربن: آفاق تفكر معنوي در اسلام ايراني، ص١٦٤.

[٦]- مثل هذه المقالة مورد البحث عن إيتان جولبيرغ.

[٧]- انظر: بسيان، نجف قلي، واقعه اعلام جانسوز و ريشه هاي سياسي و اجتماعي آن، ص١٧٢-١٧٨. ولا بدّ التذكير بأن مترجم كتاب (مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري هو الأستاذ مهدي جانسوز، وقد قام بطبعه ونشره في شهر خرداد (٣) سنة ١٣١٧هـ.ش).

الأحيان على نحو الاختصار مقرونة بالقوّة والضعف المتناسبين مع قوّة وضعف رؤية الناقدين[١].

إنّ مقالة «**من الإماميّة إلى الاثنى عشريّة**»[٢]، التي سنعرض ترجمتها في سياق البحث[٣]، تعدّ -بلحاظ الإحجام عن بحث المهدوية بشكل عام بين مختلف الفرَق الإسلامية، والاستناد البحث إلى الاعتقاد بالأئمة الاثنى عشر وغيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة الاثنى عشرية- بحثًا جديدًا في هذا الشأن. إن المضمون العام لهذه المقالة عبارة عن البرهنة على احتمال نزوع الإماميّة إلى الاعتقاد بـ«اثني عشر إمامًا وغيبة آخرهم» في مرحلة مهمة من تاريخهم (وهو بطبيعة الحال تاريخ متأخر عن مرحلة التشكّل الأولى)، والبحث عن جذور دوافع الإماميّة نحو القبول بهذه العقيدة وتحوّلهم إلى فرقة جديدة باسم الاثنى عشريّة. وبطبيعة الحال فإنّ نظريّة عدم أصالة وعدم سابقة وقدم الفرقة الاثنى عشريّة، والقول بظهورها في منتصف القرن الرابع للهجرة لا تعدّ نظرية جديدة، وإنّما كانت مطروحة منذ القرون الأولى من تاريخ الإسلام[٤]، وقد تمّ طرحها من قبل المستشرقين قبل كاتب هذه المقالة أيضًا[٥]. إنّ الاستناد البحث للمقالة على «جذور ومراحل انتشار اعتقاد الإماميّة بالإمام الثاني عشر وغيبته»[٦]، ورؤية المؤلّف التاريخيّة إلى هذه المسألة، قد غطى على اجتراريّة موضوع المقالة وأضفى عليها طابعًا مميّزًا.

---

[١]- انظر على سبيل المثال: منتظر، حسين، ذهنيت مستشرقين و اصالت مهدويت. وعلى نحو غير مباشر: الصدر، السيد محمّد باقر، بحث حول المهدي، تصدير وتقديم: حامد حنفي داود، بعنوان بحث حول المهدي وترجماته الفارسية: الصدر، السيد محمّد باقر، امام مهدي حماسه اي از نور؛ والصدر، السيد محمّد باقر، انقلاب مهدي و پندارها.

[2]- From Imamiyya To Ithna – Ashariyya.

[٣]- انظر: الملحق رقم ٢ من هذه الفصلية، ص٢٠١-٢٢٠.

[٤]- انظر على سبيل المثال: الصدوق، محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، ص٦٧.

[٥]- انظر على سبيل المثال: واط، مونتغمري، «نكاتي از فهرست شيخ طوسي مربوط به دوران اوليه امامت»، ج٣، ص٥٨٥؛ العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ص٤ (مقدمة الدكتور السيد حسين نصر).

[٦]. انظر: ص٢٠١-٢٠٢، من هذا العدد من المجلة الفصلية.

إنّ كاتب هذه المقالة **إيتان كولبرغ**[١] من مواليد عام ١٩٤٣م، وهو يعمل حاليًا في سلك التدريس والتحقيق في الجامعية العبريّة في فلسطين المحتلة[٢]، وقد صدر له حتّى الآن ما يزيد على الخمسين كتابًا ومقالاً في مختلف الحقول الإسلاميةّ، ولا سيّما في تاريخ الشيعة وعقائدهم[٣][٤].

المنهج المعتمد في مقالة «من الإماميّة إلى الاثني عشريّة»

من خلال قراءة هذه المقالة سوف ندرك أن المؤلف قد ركّز في بداية الأمر على الاعتقاد العام نسبيًا بين المسلمين بوجود اثني عشر إمامًا أو خليفة من نسل النبيّ الأكرمﷺ من جهة، والاعتقاد بوجود إمام غائب سوف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً من جهة أخرى، ثمّ عمد إلى بيان كيفيّة تسلل هذا الاعتقاد بنظره إلى مجموع أصول عقائد الإماميّة في منتصف القرن الرابع للهجرة، وفي الختام قدّم تحليله عن دوافع اعتناق الإماميّة لهذا المعتقد.

يبدو أنّ هناك مجموعة ملاحظات تتعلّق بأسلوب ومنهج الاستدلال، وفهم المصادر، وكيفيّة رؤية المؤلّف في هذا الموضوع، سنحاول جمع هذه الملاحظات ضمن خمسة عناوين هي:

---

[1]- Etan Kohlberg.

[٢]- انظر: كولبرغ ، إيتان، كتابخانه ابن طاووس و احوال و آثار او، ص١١.

[٣]- انظر: م.ن، ص١١. توجد نسخة من سلسلة مقالاته في مكتبة مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامي. وإن من بين أشهر أعماله كتاب يحمل عنوان:

“A Medicval Muslim scholor At work: IBN TAWUS AND His LIBRARY”.

لقد تمّت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيّة من قبل السيّد علي قرائي ورسول جعفريان، وتمّ نشره من قبل مكتبة مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامي تحت عنوان (كتابخانه ابن طاووس و احوال و آثار او). انظر: كولبرغ ، إيتان، كتابخانه ابن طاووس و احوال و آثار او.

[٤]- لقد أدرج المؤلّف في الصفحة الأولى من المقالة التي يمتلك كاتب السطور نسخة مصوّرة عنها، تاريخ: ١١/ سبتمبر/ ١٩٧٧م. من الجدير بالذكر أن هذه المقالة قد أرسلها كولبرغ في التاريخ أعلاه إلى الراحل الدكتور عبد الهادي الحائري -الذي كان يقيم حينها في جامعة بريكلي في ولاية كاليفورنيا- وقد سجّل المرحوم عبد الهادي الحائري تاريخ استلامها في ملاحظة مختصرة بـ: ١١/ أكتوبر/ ١٩٧٧م. وأثناء اشتغال الراحل عبد الهادي الحائري في جامعة فردوسي في مدينة مشهد ترك نسخة من المقالة تحت تصرّف الأستاذ المحترم سماحة السيد الدكتور هادي عالم زاده، وقد كان العمل على ترجمتها ونقدها ومناقشتها من قبل كاتب السطور قد جاء بتوصية وإرشاد من قبل فضيلة الدكتور عالم زاده.

مسألة الأئمّة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر في النصوص الشيعيّة الأولى.

وقفة مع بعض أدلّة المؤلّف وفهمه للمصادر.

وقفة مع تحليل المؤلّف بشأن دوافع الإماميّة إلى هذا الاعتقاد.

تقييم كيفيّة رؤية المؤلف إلى هذا الموضوع.

اقتراح احتمال جديد.

مسألة الأئمّة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر في نصوص الاثني عشريّة الأولى

إنّ أهم دليل يتمسّك به كاتب المقالة لإثبات عدم أصالة فكرة الأئمّة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر في المنظومة الفكريّة لدى الإماميّة، عدم عثوره على أحاديث بهذا الشأن في المصادر الأولى للاثني عشرية. من خلال دراسة النصوص التي أحال إليها مؤلّف المقالة، وكذلك بالرجوع إلى عدد من النصوص الأخرى من أواخر القرن الثالث الهجري، يبدو أنّ بالإمكان الوصول إلى نتائج غير تلك التي توصّل إليها المؤلّف. إنّ أقدم نصّ (أو نصوص) باقية عن الاثني عشريّة[١] عبارة عن ستّة عشر أصلاً من الأصول الأربعمئة[٢]، وكذلك مختصر عن جامع البزنطي الذي ألحقه ابن إدريس الحلّي (م ٥٩٨هـ) مع مختصرات لعشرين كتابًا آخر بنهاية كتابه المعروف السرائر، تحت عنوان «النوادر» أو «مستطرفات السرائر»[٣].

ومن بين الأحاديث الموجودة في هذه الأصول، لم يستند كولبرغ إلّا إلى حديثين بوصفهما شاهدين على عدم قطعية الاعتقاد بالأئمّة الاثني عشر، وكذلك عدم معلوميّة أسمائهم، ولا سيّما الإمام الأخير منهم. وأحد هذين الحديثين كان في أصل

[١]- المراد بذلك هو النصوص التي يعتبرها الاثنى عشرية من نصوصهم الخاصة. ومن الطبيعي أن لا يكون هناك جماعة باسم الاثني عشرية حين تأليف هذه النصوص. (انظر: ص٢١١ من هذا العدد من الفصلية).

[٢]- لقد تمّت طباعة هذه الأصول الستة عشرة من الأصول الأولية، في قم ضمن كتاب واحد سنة ١٤٠٥هـ.

[٣]- كما تمّت طباعة هذه المجموعة في قم بشكل منفصل، سنة ١٤٠٨هـ.

أبي سعيد عباد العصفوري بشأن أحد عشر نقيبًا يأتون بعد النبيّ الأكرمﷺ، وآخرهم يملأ الأرض قسطًا وعدلاً[١]، والحديث الآخر في كتاب محمّد بن المثنى الحضرمي ومضمونه أنّه سوف يكون هناك بعد النبي الأكرمﷺ سبعة أئمّة تجب على الناس إطاعتهم، وآخرهم هو «القائم»، وبعدهم سيأتي أحد عشر مهديًّا من نسل الإمام الحسينعليه السلام[٢].

يمكن تقسيم المطالب المرتبطة ببحثنا في هذه الأصول ضمن ثلاث مجموعات، وهي كالآتي:

المجموعة الأولى: عبارة عن الأحاديث التي تشتمل على مطالب مخالفة للمباني المعروفة والمقبولة عند الاثني عشرية، والتي تؤيّد نظريّة كولبرغ في الواقع. وفي هذه المجموعة باستثناء هذين الحديثين اللذين استند لهما كولبرغ يمكن الإشارة إلى حديث آخر دالّ على أحد عشر كوكبًا من أهل بيت النبيّ الأكرمﷺ، دون أن يرد فيه ذكر لغيبة آخرهم وقيامه [٣].

المجموعة الثانية: هي التي تشتمل على الأحاديث التي لا تشير إلى عدد الأئمّة وأسمائهم -أو الإمام الأخير منهم في الحدّ الأدنى- وكذلك من دون الإشارة المباشرة إلى مسألة الغيبة، وقائم آل محمّد (قائمنا) أو رجل من أهل البيت وخروجه والأمور التي سوف يقوم بها بعد خروجه[٤]. لم يتمّ ذكر موضوع الغيبة في هذه الأحاديث بشكل مباشر، ولكن في حديث عن جابر عن الإمام الباقرعليه السلام حول انتظار القائم وأهميّته[٥] «انتظار القائم» هناك دلالة غير مباشرة على الغيبة أيضًا. وكذلك في الرواية التي وردت في مختصر جامع البزنطي بشأن «التعويذة» التي يعلّمها الإمام محمّد

[١]- انظر: ص٢١٢ من هذا العدد من الفصلية، وللاطّلاع على أصل الحديث، انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص١٥.

[٢]- انظر: ص٢١٢ من هذا العدد من الفصلية، وللاطّلاع على أصل الحديث، انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص٩٠-٩١.

[٣]- انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص١٦.

[٤]- انظر: م.ن، ص٦، و٦٣، و٧١.

[٥]- انظر: م.ن، ص٧١.

الباقرعليه السلام ليونس بن ظبيان، نجد فيها كلامًا مجملاً من دون الإشارة الصريحة إلى عدد الأئمة وأسمائهم، قولهعليه السلام: «... وأعوذ بالأئمة وسمّى [وفي نسخة أخرى: يُسمّي] واحدًا فواحدًا...»[١].

المجموعة الثالثة في هذه المجموعة من الأحاديث، هناك دلالة صريحة على عدد الأئمّةعليهم السلام دون ذكر أسمائهم. من قبيل الرواية الواردة في ذات أصل أبي سعيد عباد العصفوري: «عباد، عن عمرو، عن أبي حمزة، قال: سمعت علي بن الحسينعليه السلام، يقول: «**إنّ الله خلق محمّدًا وعليًّا وأحد عشر من ولده من نور عظمته...**»[٢]. وكذلك في ذات هذا الأصل أيضًا: «عباد، عن عمرو، عن أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام، قال: «قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض أعني أوتادها ... فإذا ذهب الأحد عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا**»[٣]. وعليه في ضوء القرينة الموجودة في هذه الرواية يمكن توجيههم الروايات المشتملة على معلومات بشأن أحد عشر نقيبًا وخليفة لرسول اللهصلى الله عليه وآله على هذا النحو أيضًا، وهو أنّ مراد النبيّ أحد عشر خليفة غير الإمام عليعليه السلام ، لا سيّما وأنّ النبي قد تحدّث فيها عن أحد عشر نقيبًا من ولده: «من ولدي أحد عشر نقيبًا نجيبًا محدّثون مفهمون آخرهم القائم»[٤]. و«نجوم من أهل بيتي من ولدي أحد عشر نجماً»[٥]. ونعلم أنّ الإمام عليعليه السلام لم يكن من وُلد النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله[٦]. ومن الجدير ذكره أنّ المؤلف ذكر في مورد حديث محمّد بن المثنى توجيهًا نقله عن علماء الشيعة[٧]. وقد قام الشيخ

[١]- انظر: ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (م ٥٩٨هـ)، النوادر أو مستطرفات السرائر، برعاية السيد محمّد باقر الموحد الأبطحي، ص٦٢ (ما استطرفناه من جامع البزنطي)، مدرسة الإمام المهديعجل الله فرجه.

[٢]- انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص١٥. والملفت أنّ هذا الحديث جاء من دون فصل قبل الحديث الذي كان موردًا لاستناد كولبرغ.

[٣]- انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص١٦.

[٤]- م.ن، ص١٥.

[٥]- م.ن، ص١٦.

[٦]- قارن ذلك مع: الصفار القمي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ (م ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، ص٣٢٠.

[٧]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٨٣، و٢٢٠ من هذا العدد من المجلة الفصلية.

الحرّ العاملي بحمل بعض روايات هذه الأصول على التقية[١].

إنّ كتاب المحاسن لأحمد بن محمّد البرقي (م ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ) كان هو الآخر موردًا لاستناد المؤلف بوصفه شاهدًا آخر أيضًا. إن ما قاله المؤلف -من أنّ كتاب المحاسن لا يحتوي على أيّ حديث يبيّن عدد الأئمّة وغيبة الإمام الثاني عشر- صحيح، ولكن هناك بطبيعة الحال في مختلف مواضع هذا الكتاب[٢] ما لا يقلّ عن ثمان روايات حول «القائم» و«فضيلة انتظاره»[٣]، حيث يمكن لها أن تؤيّد نظريّة الاثنى عشريّة على نحو غير مباشر. وعلى الرغم من أنّ مفردة القائم يمكن أن تطلق على كل إمام[٤]، إلاّ أنّ بعض هذه الروايات تصدق على القائم الموعود على نحو أيسر[٥]. وفي حديث آخر يطلب عمر بن مسلم من الإمام الصادق عليه السلام أن يُسمّي له «الأئمّة بالحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله»-، فيقتصر الإمام الصادق عليه السلام في الجواب على ذكر اسم الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام علي بن الحسين والإمام محمّد بن علي (الإمام الخامس)، ثمّ يقول بعد ذلك بأسلوب مجمل: «هذا الأمر يجري لآخرنا كما يجري لأوّلنا»، ويحجم عن ذكر أسماء الأئمّة اللاحقين، بل ويحجم حتى عن التصريح بإمامة نفسه[٦].

---

[١]- انظر: الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ص١٧٠.

[٢]- يشتمل كتاب المحاسن على أحد عشر قسمًا، وكل واحد من هذه الأقسام له عنوان كتاب مستقل، مثل: «كتاب الأشكال والقرائن» وما إلى ذلك. وكل واحد من هذه الكتب الأحد عشر بدوره -باستثناء (كتاب العلل)- يشتمل على أقسام أصغر تحمل عنوان: «الباب».

[٣]- انظر: البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد (م ٢٧٤هـ/ ٢٨٠هـ) المحاسن، ص١٤٥-١٤٩، و١٧٣-١٧٤، و٣٢٠، و٣٣٩-٣٤٠.

[٤]- انظر: الصفار القمي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ، ص٢٦٥؛ الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر (م: ما بعد عام ٣٠٠هـ)، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، ص١٤٠. إنّ الاحتمال الآخر بشأن القائم في هذه الروايات هو أن يكون المراد منه إمام يخرج من أجل الحصول على مقاليد الحكم، وكان من الممكن لكلّ واحد من الأئمّة من الإمام السادس إلى الإمام الثاني عشر أن يكون هو القائم، وكان الأئمّة من أجل الحفاظ على روحية الناس يزرعون الأمل لديهم بخروج الإمام القائم. إن هذا الاحتمال يقوم على فرضيّة أن أئمّة الشيعة كانوا يخططون للوصول إلى الحكم، وهذا الأمر بدوره يحتاج في إثباته إلى بحث مستقلّ ومستوفى.

[٥]- انظر: البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، ص٣٣٢-٣٣٣.

[٦]- انظر: م.ن، ص٢٨٨-٢٨٩.

إنّ البرقي في كتاب آخر له معروف بـ«الرجال»[١]، عمد إلى التعريف بأصحاب النبيّ الأكرمﷺ، ثمّ ذكر الإمام عليعليه السلام إلى الإمام الحجّة بن الحسنعليه السلام. فما ورد في هذا الكتاب يدلّ بوضوح على الاعتقاد باثني عشر إمامًا.

وفي كتاب الغارات (أو الاستنفار والغارات) تحدّث ابن هلال الثقفي (م ٢٨٣هـ) في موضع واحد فقط عن رجل من أهل البيتعليهم السلام (ابن خيرة الإماء)[٢]، وأنّه سوف يسلخ الفتن كما يُسلخ الجلد عن اللحم وسوف يعمل على إطفاء نائرتها (يفرّج الفتن ... كتفريج الأديم)[٣]. وهذا الكتاب بدوره لم يرد فيه ذكر عدد الأئمّةعليهم السلام وأسمائهم.

والمصدر الشيعي الآخر الذي يعود إلى نهاية القرن الهجري الثالث هو كتاب بصائر الدرجات لمؤلّفه محمّد بن حسن الصفار القمي (م ٢٩٠هـ)؛ وقد تحدّث عنه كولبرغ، قائلاً: «... لم يشتمل على أيّ حديث بشأن الغيبة أو الأئمّة الاثني عشر»[٤]، ولكنّنا عند مطالعة هذا الكتاب نواجه هذه الروايات، وهي: ما لا يقلّ عن ثلاثة أحاديث حول الإمام المهدي والأوصياء بعد النبيّ الأكرمﷺ[٥]، وثمانية أحاديث حول القائم[٦]، وحديثان حول خروج رجل من أهل البيتعليهم السلام قبل نهاية الدنيا، وأنّه يحكم كما كان يحكم النبيّ داودعليه السلام (في القضاء)[٧]، وحديث واحد يتحدّث عن اثني عشر عالماً، وقد جاء في تتمته: «كلّما مضى منّا إمام سكن أحد هذه العوالم، حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه»[٨]. إن هذا الحديث، بالإضافة

[١]- لقد عمد أحد علماء الشيعة مؤخرًا إلى القول بخطأ نسبة هذا الكتاب إلى البرقي (أحمد بن محمّد)، ونسبه إلى نجله أو حفيده. انظر: السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال، ص٦٦-٦٧. بيد أن الأدلّة التي يقيمها على ذلك قابلة للطعن أحيانًا.

[٢]- يُطلق هذا اللقب على أم الإمام المهديعليه السلام.

[٣]- انظر: الثقفي، ابن هلال (م ٢٨٣هـ)، الغارات (الاستنفار والغارات)، ص١٠. وفي نسخة مصححة من قبل المحدّث امير جلال الدين حسين الأرموي، ج١، ص١٢.

[٤]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٣.

[٥]- انظر: الصفار القمي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ، بصائر الدرجات، ص٧٠، و١٠٦.

[٦]- انظر: م.ن، ص١٥٢، و١٩٩، و٢٥٩، و٢٦٢، و٣٣٦، و٣٥٦، و٤٧٨.

[٧]- انظر: م.ن، ص٢٥٨.

[٨]- م.ن، ص٤٠٤-٤٠٥.

إلى دلالته على عدد الأئمة [الاثني عشر][١]، يُشير إلى الإمام القائم -الذي هو آخرهم- أيضًا. وهناك حديث آخر في هذا الكتاب يتحدّث بوضوح وبشكل صريح عن عدد الأئمةﷺ [وأنهم اثنا عشر إمامًا][٢]؛ فقد ورد فيه عن زرارة قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: «الاثنا عشر الأئمة من آل محمّد كلهم محدّث»[٣].

وكان كتاب قرب الإسناد لمؤلّفه أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي (حيّ حتى عام ٣٠٠هـ)، من المصادر الشيعيّة المتقدّمة؛ حيث لم يقع موردًا لإشارة المؤلّف. وقد انعكس هذا الموضوع في هذا الكتاب على أشكال مختلفة. وفي ضوء حديث -في سلسلة رواته بطبيعة الحال عبد الله بن ميمون القداح أيضًا- خلق الله من أهل البيت (وهم فرع بني هاشم) سبعة أشخاص (منهم النبيّ الأكرمﷺ)، لم يخلق مثلهم أبدًا[٤]. وفي رواية أخرى يتحدّث الإمام الصادقعليه السلام عن أسماء الأئمة الأطهارﷺ من الإمام عليعليه السلام حتى يصل إلى نفسه، ويسكت عن ذكر أسماء الأئمّة الذين يأتون بعده[٥]. وفي حديث مجمل آخر ورد أن أسماء الأئمة معلومة: «...ما هو إلّا عهد من رسول اللهﷺ رجل فرجل مُسمّى»[٦]. كما نرى هذا الكلام المبهم في موضع آخر عن قول الإمام محمّد الباقرعليه السلام؛ إذ يقول: «لا يستكمل عبد الإيمان حتى يعرف أنه يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم في الحجّة والحلال والحرام»[٧]. وفي حديث آخر ورد الكلام عن رجل من أهل البيتﷺ يخرج في آخر الدنيا، وإنه سوف يعمل بكتاب الله: «... إنّ الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله منّا أهل البيت رجلاً يعمل

[١]- ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرّب).

[٢]- ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرّب).

[٣]- وبطبيعة الحال فإنه بالنظر إلى الجزء الثاني من هذا الحديث، والذي يقول إن هؤلاء الأئمة هم: «من ولد رسول اللهﷺ وولد عليعليه السلام» ترد شبهة ما إذا كان عدد الأئمّة مع إدخال الإمام عليعليه السلام سوف يصبح ثلاثة عشر إمامًا، بيد أن صدر الحديث يشهد بوضوح على خلاف ذلك؛ إذ يقول: «الاثنا عشر الأئمة من آل محمّد كلهم محدّث».

[٤]- انظر: الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، ص١٤.

[٥]- انظر: م.ن، ص٣٠.

[٦]- انظر: م.ن، ص١٥٤.

[٧]- م.ن، ص٦٠.

بكتاب الله عزّ وجل»[١]. وهناك في ما لا يقلّ عن خمسة موارد أخرى إشارة إلى قيام القائم وعلامات ما قبل قيامه وانتظار الفرج[٢]. ويبدو أن هذا الكتاب كان من الممكن أن يقع موردًا لاستفادة المؤلّف بشكل أفضل من كتاب المحاسن للبرقي (م ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (المتوفى في أواخر القرن الهجري الثالث أو أوائل القرن الهجري الرابع)[٣]، وهو التفسير المعروف بـ«تفسير فرات الكوفي»، هناك -بالإضافة إلى عشرات الروايات حول أهل البيت عليهم السلام[٤] ما يقرب من عشرين حديثًا في خصوص الإمام «المهدي» و«القائم»[٥]. ويبدو أنّ هذا الكتاب بدوره لم يشتمل على ذكر صريح لعدد الأئمة الأطهار عليهم السلام أيضًا.

إن أول كتاب تمّ تأليفه في القرن الرابع للهجرة، هو كتاب تفسير علي بن إبراهيم (م ٣٠٧ هـ)، وقد ذكر فيه -باعتراف المصنف- عدد الأئمّة الأطهار عليهم السلام وأسماؤهم بشكل واضح[٦].

في مقام الجمع وبيان الخلاصات يجب القول إنّ النصوص الشيعيّة الواصلة إلينا منذ أواخر القرن الثالث -كما لاحظنا- عبارة عن روايات لا تخصّ الأئمّة الاثنا عشر وغيبة آخرهم، كما هو الحال بالنسبة إلى وضوح وسعة وانسجام هذه النصوص التي تعود إلى القرن الرابع والخامس للهجرة. وعلى الرغم من ذلك فإنّ هذا الموضوع لا يبقى مسكوتًا عنه في هذه النصوص بشكل مطلق؛ وذلك أوّلًا لأنّ عدد الأئمّة مذكور في الأصول المتبقيّة وفي بصائر الدرجات وغيره أيضًا، وثانيًا إنّ مسألة القائم

[١]- قرب الإسناد، م.س، ص١٥٣.

[٢]- انظر: م.ن، ص١٦٣، و١٦٥، و١٦٨، و١٧٣.

[٣]- حيث ورد ذكر اسمه في تفسير علي بن إبراهيم القمي (م ٣٠٧هـ) مرارًا وتكرارًا، يكون احتمال وفاته في القرن الثالث للهجرة هو الأقوى. (انظر: الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (م القرن الثالث للهجرة)، تفسير فرات الكوفي، ص١٠).

[٤]- انظر: بن فرات، الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، ص٦٢٩-٦٧٢.

[٥]- انظر: م.ن، ص٦٥٧-٦٥٨.

[٦]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٣.

-وغيبته على نحو تلويحي- قد تمّ التأكيد عليها مرارًا وتكرارًا. ويجب أن لا يغيب عن أنظارنا أن القسم الأعظم من المصادر الشيعيّة من القرن الثالث وحتى القرن الثاني والأول من الهجرة -وهي المصادر المعروفة بالأصول الأربعمئة- لم تصل إلينا، وإنّ أشخاصًا من أمثال الشيخ الكليني (م ٣٢٩هـ) قد ألّفوا كتبهم الروائيّة اعتمادًا على تلك الأصول التي كانت موجودة عندهم[١]. وكذلك وردت أسماء كتب تمّ تأليفها في القرن الهجري الثالث حول الغيبة، على ما نرى ذلك في فهارس من قبيل كتاب الذريعة[٢]، ولكنها لم تعد موجودة بين أيدينا[٣].

وقفة مع بعض أدلّة المؤلف وفهمه للمصادر

بالنظر إلى المعرفة التي حصلنا عليها في القسم السابق بالنسبة إلى النصوص الشيعيّة الأولى، نطلّ في هذا القسم -بغض النظر عن أسلوب ورؤية المؤلّف إلى هذا الموضوع- على بعض أدلّته التي تعود بشكل رئيس إلى نوع فهمه للمصادر ومقارنتها التاريخيّة واستنتاجه من هذه المقارنة.

إنّ المؤلف المحترم من خلال استناده إلى عدم تصريح المصادر الأولى بالأئمّة الاثني عشر والإمام الثاني عشر، والتصريح بهذا الموضوع في تفسير القمي (المتوفى سنة ٣٠٧هـ)، وكتاب الكافي للشيخ الكليني (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، وكذلك عدم التصريح باسم الإمام الثاني عشر، وتصريح الأشعري (المتوفى سنة ٣٢٩هـ) في مقالات الإسلاميّين بهذا الاسم، قد استنتج أنّ الإمامية قد قبلوا هذه الأصول بشكل مبكر جدًّا، وأدخلوها في تراثهم وعقيدتهم[٤]. وهنا عدّة نقاط:

ذكرنا سابقًا أنّ النصوص الشيعيّة الأولى وإن لم تكن بسعة مصادر القرن الرابع للهجرة فصاعدًا لا تخلو من الأصول الاعتقاديّة للشيعة.

[١]- انظر: الغفاري، علي أكبر، تاريخ تدوين الحديث وكتابته، تلخيص مقباس الهداية (الملحق الأول) ص٢٣٨-٢٣٩، (بالتعاون مع نشر: الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص١٠-٢٢).

[٢]- انظر: الطهراني، آغا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١٦، ص٧٤-٨٤.

[٣]- سوف نتحدّث في المواضع القادمة عن هذا الأمر بتفصيل أكبر.

[٤]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٢-٥٢٣.

إنّ مجرّد ذكر أو عدم ذكر المطالب في الكتب التي لم يتّضح تاريخ تأليفها بشكل دقيق، ولا يتجاوز تاريخ وسنة وفاة مؤلّفيها أكثر من عقد أو عقدين من الزمن، لا يمكن أن يشكل مبنى للحكم الصحيح والعلمي بشأن ظهور وتحوّل عقيدة ما.

إنّ بعض المؤلفين من أمثال أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (المتوفى سنة ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ) مؤلّف كتاب المحاسن، ومحمّد بن الحسن الصفّار القمّي (المتوفى سنة ٢٩٠هـ) مؤلّف كتاب بصائر الدرجات، لو سلّمنا أنّ كتبهم لا تشتمل على أحاديث في هذا الشأن، إلا أنهم يقعون ضمن سلسلة رواة الطبقة اللاحقة من أمثال الكافي وغيبة النعماني وغيرهما، ليس هناك أيّ دليل على اختلاق الروايات المنقولة عنهم[١]. من ذلك -مثلاً- أنّ رواية الخضر المعروفة التي وردت في كتاب المحاسن من دون ذكر أسماء وعدد الأئمّة، قد وردت في كتاب أصول الكافي عن البرقي نفسه مع ذكر أسماء الأئمّة وعددهم[٢]. والملفت في البين أنّ محمّد بن يحيى الذي سمع الحديث عن محمّد بن الحسن الصفار، يتمنّى لو كان ناقل هذا الحديث شخصًا آخر غير البرقي[٣]، وقال محمّد بن الحسن بدوره في الجواب بأن البرقي قد روى هذا الحديث قبل الغيبة الصغرى بعشرة أعوام: «... حدثني قبل الحيرة بعشر سنين»[٤]. كما يلاحظ اسم محمّد بن الحسن الصفار بكثرة في سلسلة رواة الأحاديث المرتبطة بموضوع بحثنا[٥]. وقد ذكر الشيخ الطوسي في فهرسته أن محمّد بن الحسن

[١]- انظر على سبيل المثال: الكليني، محمّد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج١، ص٥٢٥؛ النعماني، محمّد بن إبراهيم (ابن أبي زينب) (المتوفى في القرن الرابع للهجرة)، الغيبة، ص١١٥، و١٦٢.

[٢]- انظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٥٢٥-٥٢٦.

[٣]- انظر: م.ن.

[٤]- فيما يتعلّق مختلف توجيهات هذه العبارة من محمّد بن يحيى وكذلك جواب محمّد بن الحسن، انظر: بحر العلوم الطباطبائي، السيد محمّد مهدي (متوفى سنة ١٢١٢هـ)، الفوائد الرجالية (رجال بحر العلوم)، ج١، ص٣٤١-٣٤٣؛ الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم الرجال، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦. وسلسلة من نقل الأقوال في مقدمة البرقي (من كتاب المحاسن)، بتصحيح المحدث الأرموي، صج، يز. مؤلف كتاب الفوائد الرجالية استنادًا إلى الكثير من الأحاديث التي رواها البرقي حول الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والإمام الغائب، يكون المراد من «الحيرة» هو عصر الغيبة الصغرى قطعًا، وليس حيرة وتيه شخص البرقي. (انظر: بحر العلوم الطباطبائي، السيد محمّد مهدي (متوفى سنة ١٢١٢هـ)، الفوائد الرجالية (رجال بحر العلوم)، ج١، ص٣٤٣).

[٥]- انظر: الصفار القمي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ، بصائر الدرجات، ص١٦-١٨؛ الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٥٣٢-٥٣٤.

الصفار كان له كتاب مشتمل على مسائل راسل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بشأنها[١].

وفي الأساس فإن المؤلف فيما يتعلق بالمصادر الروائية كان يتّخذ من سنة وفاة المؤلف ومن تاريخ تأليف الكتاب -في حدود الإمكان- مبنى لحكمه. إن هذا الأمر وإن كان يُعدّ مبنى صحيحًا -«ولا سيّما بشأن الأحاديث التي يرد ذكرها أول مرّة»- ولكن علينا أن لا ننسى أن الحديث إنّما هو في الحقيقة نقل مباشر لكلام، وفي حالة إحراز وثاقة الراوي وصدقه، يجب العمل على بحثه وتقويمه من الناحية التاريخية في المقطع الزمني للمتكلم الأصلي، لا سيّما وأن كل واحد من الرواة في بعض هذه الأحاديث يذكر سنة سماع الحديث وأخذه بل وحتى الشهر أيضًا[٢]. والنموذج الآخر عن هذا المبنى للمؤلف، ما ذكره في وجه الجمع بين اسمي «محمّد» و«أحمد». وقد نقل -بعد ذكر آراء الإمامية حول تسمية أو عدم تسمية المهدي عجل الله فرجه- وجهًا للجمع بين هذين الاتجاهين عن كتاب نوادر الأخبار للشيخ النراقي (المتوفى سنة ١٠٩٠هـ)[٣]، هذا في حين أن النراقي قد نقله بعينه عن كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق (المتوفى سنة ٣٨١هـ)[٤]. وفي الحقيقة فإن هذا التوجيه يرتبط بذات القرن الرابع للهجرة، و«ليس سعيًا للجمع والتوفيق»[٥]، في المراحل اللاحقة[٦].

وعلى أساس هذا المبنى من المؤلف، يمكن توجيه السؤال إليه بشأن مطالبه حول الواقفية الذين يعتبرهم من طلائع الاثني عشرية أو السبأية الذين يعتقد أنهم من أوائل القائلين بغيبتين، ويعتبر الاثنى عشرية متأثّرين بهم[٧]، والقول باحتمال أن

[١]- انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الفهرست، ص١٤٤.

[٢]- انظر على سبيل المثال: النعماني، محمّد بن إبراهيم (ابن أبي زينب)، الغيبة، ص٥٧-٦٧.

[٣]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٢.

[٤]- انظر: الفيض الكاشاني، المولى محسن بن مرتضى (المتوفى سنة ١٠٩١هـ)، نوادر الأخبار في ما يتعلق بأصول الدين، ص٢٢٠؛ وقارن ذلك بالصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ص٦٥٣.

[٥]- انظر للوقوف على نص عبارة المؤلف: ص٢١٤ من هذا العدد من الفصلية.

[٦]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٢.

[٧]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣١-٥٣٢. وص٢١٠ من هذا العدد من الفصلية.

تكون هذه المسائل من مختلقات المرحلة الزمنية لتأليف الكتب التي أشار إليها. إنّ عقائد الشيعة الاثنى عشرية بدورها لا تختلف -من هذه الناحية- عن المسائل الأخرى، وعلى الرغم من ورودها في المصادر المتأخرة بالتفصيل، إلا أنها ناظرة على الدوام إلى الماضي وتُنقل عن المتقدمين. وعلى هذا الأساس فإنّ مجرّد القول بأنّ أشخاصًا من أمثال البرقي والصفار القمي لم يذكروا في كتبهم رواية بهذا الشأن -وهو غير صحيح- لا يمكن الحكم بأن هذه العقائد لم تكن في عصرهم جزءًا من عقائد الشيعة، بل استنادًا إلى الكثير من الروايات المأثورة -على سبيل المثال- عن هذين الشخصين في المصادر القريبة جدًّا من عصرهما، وكذلك بالنظر إلى أنّ مصادر الشيعة في القرن الرابع للهجرة مثل كتاب الكافي قد تمّ تأليفها استنادًا إلى الكتب والأصول التي لم تعد اليوم بمتناول أيدينا، يمكن أن نحتمل احتمالاً قويًّا أن هذه العقائد كانت بدورها في عصر الرواة جزءًا من عقائد الإماميّة، ويبقى مجرّد هذا السؤال، وهو: لماذا لم ترد في المصادر الأولى بسعة ووضوح المصادر المتأخّرة؟ وسوف نتعرّض لهذا الموضوع في الأقسام اللاحقة.

وفيما يتعلّق بكتب من قبيل: كتاب المحاسن وكتاب البصائر، لا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة المهمّة، وهي أنّ القراءة الإجماليّة لعناوين أبواب وفصول أبحاثها، تثبت أنّ الأبحاث المرتبطة بالأئمّة عليهم السلام في هذه الكتب إنما تخص صفاتهم وخصائصهم العامّة، وليس أحوالهم واحدًا واحدًا، وبحسب المصطلح إنها لم تكن في مقام بيان عدد أسماء الأئمّة، ولذلك لم يكن هناك ادّعاء بجمع الأحاديث الخاصّة بهذا الموضوع، خلافًا لكتب المرحلة اللاحقة التي تمّ جمعها وتأليفها لهذه الغاية بالتحديد. من ذلك -على سبيل المثال- أن كتاب الأشكال والقرائن في المحاسن، والذي أشار إليه كاتب المقالة المحترم واستند إليه، لم يكن في مقام هذا البحث أصلاً[١]. وكذلك من المهم أن نعلم أن هذه الكتب بالإضافة إلى اشتمالها على روايات تؤيد العقائد الراهنة للاثنى عشرية بنحو من الأنحاء، فإنّ بعضها لا يشتمل على أيّ حديث أو عبارة لا تنسجم مع هذه العقائد، وفي بعضها الآخر نادرًا ما يتمّ العثور على

[١]- انظر: البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، ص٣-١٨.

عبارات غير منسجمة، وقد تمّ توجيهها في العادة بعدّة أشكال[١]. ومن ناحية أخرى هناك في المصادر المتأخرة من الأحاديث الكثيرة نسبيًّا لا تحتوي بدورها على اسم الإمام الغائب والإمام الثاني عشر مثلاً[٢]، أو يمكن استنادًا إلى مبنى المؤلّف تسرية هذا التشكيك وعدم القطعيّة المدّعاة من قِبله إلى المراحل التالية أيضًا. وفي بيان الأساليب المتّبعة من قبل علماء الإماميّة لإثبات نظريّتهم، أشار كولبرغ إلى أربعة أساليب، وأشار بعد ذلك -بشكل ضمني ومن دون ذكر رقم- إلى أسلوب آخر، وهو عبارة عن الاستدلال العقلاني[٣].

ومن خلال مطالعة النصوص الشيعيّة يجب القول إنّ منهج الاستدلال العقلاني على ضرورة وجود الإمام وغيبته في حالة المواجهة مع الخطر، يقع ضمن المناهج والأساليب المتّبعة من قبل علماء الشيعة، وهو يوازي سائر الأساليب والمناهج الأخرى، ويجب ملاحظته بشكل مستقل.

وخلاصة هذا الاستدلال على النحو الآتي: إن الأئمة اثنى عشر، وقد رحل عن هذه الدنيا منهم أحد عشر إمامًا، والأرض بدورها لا تخلو من حجّة؛ وعليه يجب أن يبقى الإمام الثاني عشر على قيد الحياة. ولكن بالنظر إلى الخطر الذي يهدد حياته، وعدم توفّر شرائط الظهور، فإنه يعيش في غيبة[٤]. وفي النصوص الكلامية الشيعية المعاصرة تمّ ذكر دليل جديد بوصفه «دليلاً علميًّا» على صحّة اعتقاد الشيعة بغيبة إمام زمانهم (الإمام الثاني عشر). وإنّ أساس هذا الدليل العلمي عبارة عن بحث ودراسة عصر الغيبة الصغرى. فإنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه -طبقًا لاعتقاد مشهور الشيعة- كان في غيبته الصغرى التي امتدّت لأربعة وسبعين عامًا يتواصل مع الشيعة بواسطة أربعة من سفرائه ونوابه[٥]، وكان يرسل إليهم الكتب والأخبار الضرورية، بل وحتى

[١]- انظر على سبيل المثال: توضيحات العلامة المجلسي ذيل عموم هذه الروايات.

[٢]- انظر على سبيل المثال: معجم أحاديث الإمام المهدي، إشراف الشيخ علي الكوراني، ج١، ص١١٩-١٢٢.

[٣]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٨، و٢٠٧ من هذا العدد من المجلة الفصلية.

[٤]- انظر على سبيل المثال: الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص١٠-٢٢؛ الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الغيبة، ص٨٥-١٠٥؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (المتوفى في القرن السادس للهجرة)، إعلام الورى بأعلام الورى، ص٣٨٦-٣٩٢، وص٤٣٦-٤٤٦.

[٥]- إن هؤلاء الأشخاص الذين عرفوا بالنوّاب الأربعة أو السفراء الأربعة، هم: عثمان بن سعيد العمري، ومحمّد بن عثمان العمري، وحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمّد السمري. وللمزيد من الاطّلاع بشأن هؤلاء السفراء، انظر

الإجابة عن الأسئلة في رسائل عرفت بـ«التوقيعات»[١].

إنّ هذه الظاهرة لم تغب عن الرؤية الثاقبة للمفكّر الشيعي المعاصر الكبير الشهيد محمّد باقر الصدر، وقد رأى فيها دليلاً علميًّا يثبت هذه الحقيقة، ولا سيّما بالنظر إلى اتحاد ومعرفة خطوط التوقيعات وعدم ظهور التناقض في أقوال وأفعال السفراء، الأمر الذي يؤكّد عدم وجود خداع واحتيال في الأمر، وعليه يكون هذا الاعتقاد من الشيعة صحيحًا. يقول الشهيد الصدر: «لقد قيل قديمًا: إن حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يُثبت أيضًا أن من المستحيل عمليًّا بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل، وكل هذه المدّة وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولها. وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالإمام القائد...»[٢].

وعلى كل حال يبدو في تقرير كامل عن أساليب استدلال علماء الشيعة، يجب عدّ الدليل العقلي بوصفه دليلاً مستقلاً.

لقد ذهب كولبرغ في إثبات تأثر الاثنى عشريّة بسائر الجماعات في مورد الاعتقاد بالغيبة، إلى اعتبار مختلف الجماعات الواقفية في المرحلة العبّاسيّة الأولى من المدافعين عن نظريّة الغيبة[٣]. فأوّلاً إن مبنى هذا الادّعاء -كما سبق أن ذكرنا- عبارة عن نصوص لا تبتعد كثيراً -من الناحية الزمنية- عن النصوص التي تثبت وجود هذا الاعتقاد بين الشيعة الاثنى عشريّة[٤]، ولا يمكنها إثبات تقدّم هذا التفكير عند سائر الجماعات على الاثنى عشرية. ومن ناحية أخرى فإن القول بذهاب البطائني إلى

على سبيل المثال: الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص٣٥٣-٣٩٦؛ وفي النصوص المعاصرة: الشهيد الصدر، السيد محمّد باقر، انقلاب مهدي و پندارها، ص٣٩٦-٤٨٨؛ راسخي نجفي، عباس، نواب اربعه و عظمت مقام هر يك.

[١]- فيما يتعلق بعنوان يشتمل على جميع التوقيعات، انظر: الشيرازي، السيد حسن، كلمة الإمام المهدي عجل الله فرجه. وللاطّلاع على محتوى هذه التوقيعات ونموذج عن تبويب هذه التوقيعات، انظر: ركني، محمّد مهدي، نشاني از امام غائب: بازنگري و تحليل توقيعات، ص٦٩-١١١.

[٢]- انظر: الشهيد الصدر، محمّد باقر، امام مهدي حماسه اي از نور، ص٧٩-٨٠. وقارن ذلك بـ: الشهيد الصدر، امام مهدي حماسه اي از نور، ص٧٠-٧١. وكذلك للوقوف على استدلال بهذا المضمون، انظر: ركني، محمّد مهدي، نشاني از امام غائب: بازنگري و تحليل توقيعات، ص٦، و٧٠، وص ١١٠-١١١.

[٣]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣١.

[٤]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي).

الوقف -على فرض ثبوته- لا يمكن أن يثبت تقدّم هذه الرؤية بين الواقفيّة؛ وذلك لأنّ الحسن بن محبوب الزرّاد -الذي يُعدّ مثل البطائني من المعاصرين للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام[١]- قد ذكر الاعتقاد بغيبتين في كتابه (المشيخة) أيضًا[٢]. ولم يُشر كولبرغ بدوره إلى هذا الموضوع.

كما أنّ من بين القرائن الأخرى على وجود هذا الاعتقاد في المراحل السابقة على القرن الهجري الرابع، رأي أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (المتوفى سنة ٣٢٩هـ) -وهو والد الشيخ الصدوق- في كتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة؛ إذ يقول إنه قد جمع الأخبار والروايات الواردة في عدد الأئمة والغيبة[٣]. وقد أشار الشيخ المفيد بدوره في كتاب الفصول العشرة في الغيبة إلى كتب الشيعة التي تم تأليفها قبل ولادة الحسن بن علي (الإمام الحادي عشر عليه السلام وأبيه وجدّه، وقال بأنّ الأخبار الخاصّة بالغيبتين (الصغرى والكبرى) كانت موجودة في تلك الكتب، وإنّ تحقّق هاتين الغيبتين قد أثبت صدق تلك الأخبار وصحة عقيدة الإماميّة أيضًا[٤]. إنّ كولبرغ نفسه بالاستناد إلى نقل كلام عن الشيخ الصدوق ابن بابويه قد أشار في هذا الموضوع لغرض إضعاف الادّعاء إلى وجود حديث حول أحد عشر إمامًا آخرهم القائم، وكذلك فقد تمسّك بحديث يُشير إلى وجود سبعة أئمّة فقط[٥]. ولكن كما سبق أن أشرنا فإنّ هذه الأحاديث أوّلًا قد تمّ توجيهها بمختلف الأشكال. وثانيًا: هناك غير هذه الأحاديث روايات واضحة أخرى في هذه الأصول[٦]، وفي الأساس فإن ذات هذه الكتب والأصول كانت قد شكلت المادة الأولى لتأليف كتب مثل كتاب أصول الكافي. وفيما يتعلق بالبطائني الواقفي بغض النظر عن عدم وضوح ما إذا كان

[١]- الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم الرجال، ج٥، ص٨٩.

[٢]- هناك من قال بأن مشيخة الزرّاد قد تمّ تأليفها قبل ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه بقرن من الزمن. انظر: الصافي، لطف الله، مع الخطيب في خطوطه العريضة، ص١٠٤. وقد كان كتاب المشيخة موجودًا حتى القرن الهجري العاشر، وإن الشهيد الثاني (المتوفى سنة ٩٦٥هـ) قد أعدّ منتخبًا منه. انظر: الطهراني، آغا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٢، ص٤٣٥.

[٣]- انظر: ابن بابويه، علي بن الحسين (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص١٤٢-١٤٥.

[٤]- انظر: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، ده انتقاد و پاسخ پيرامون غيبت حضرت مهدي عجل الله فرجه، (الفصول العشرة في الغيبة)، ص١٧، نشر راه امام، طهران، ١٣٦١ هـ ش. وقارن ذلك بـ: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص٥٦، انتشارات دار الكتاب، قم.

[٥]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣٢، ١٩٧٦ م.

[٦]- انظر: المصدر أعلاه، ص٥٤-٥٧، من هذا العدد من الفصلية.

«الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني» مؤلف كتاب الغيبة واقفيًا أو كان الواقفي هو أبوه[١]، وما إذا كان في الأساس هو الذي ألف هذا الكتاب أم لا[٢]، وفيما لو كان هو الذي ألفه فما هو مضمون هذا الكتاب ومفاده[٣]، لا بدّ من الالتفات أوّلاً إلى أنّ أهمّ خصائص الواقفة (أو الواقفيّة) هي الاعتقاد بغيبة الإمام السابع عليه السلام وظهوره في المستقبل[٤]، وبالنظر إلى خلفيّات ظهورهم، فإنّ هذه الجماعة إمّا أن تكون قد تعمدت وطمعت بمصادرة الأموال والحقوق الشرعيّة بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام[٥]، أو أنها أخطأت الطريق بحسن نية وتعرّضت إلى الانحراف غير المقصود في تطبيق العقيدة الشائعة والقطعيّة بشأن الإمام الغائب[٦]، واعتبرت الإمام السابع مصداقًا للإمام الغائب والقائم؛ بمعنى أنّ كيفيّة انفصال الواقفيّة عن جسد الإماميّة واعتقادها بغيبة الإمام السابع يشكّل في حدّ ذاته مؤيّدًا وشاهدًا على وجود الاعتقاد بغيبة الإمام الأخير بين الشيعة الإمامية. بمعنى أنّه كما سبق للسبئيّة والكيسانيّة أن ضلّت الطريق في معرض العثور على المصداق، فإنّ الواقفيّة بدورهم قد سلكوا طريقًا جديدًا، لا سيّما وأن مدّعى كل واحد من هذه الجماعات -بوصفها من الفرَق المنحرفة عن الإمامية الحقّة- قد تمّ ذكره في المصادر القديمة، وتمّ العمل على نقده وتقويمه[٧]. وبالدرجة الثانية فإنّ الأسلوب والمنهج العامّ المعتمد من قبل علماء الرجال والحديث في صورة إثبات وثاقة الراوي وصدقه، هو العمل بالأخبار

[١]- لقد تمّ الاقتصار في قرب الإسناد على توجيه الطعن إلى ابي حمزة فقط. انظر: الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، ص١٥٣-١٥٤. للوقوف على بحث مستوفى ونقل اقوال الرجال بشأن البطائني، انظر: الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، ج١، ص٤١٨-٤٣٠.

[٢]- يبدو أنه لم يأت أحد من المتقدمين على ذكر كتاب الغيبة له غير النجاشي. انظر نقل الأقوال في: الناصري، ج١، ص٤١٨-٤٣٠. لا سيّما أن الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة الذي هو في مقام نقد الأفكار المنحرفة بشأن الغيبة، وقام بنقد كتاب (نصرة الواقفة) لم يأت على ذكر كتاب البطائني (الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، ص٤٣). إن هذا الأمر يمكن أن يكون بمعنى عدم وجود هذا الكتاب، أو أن يكون مضمونه موافقًا لعقائد الطوسي، وعلى احتمال أضعف تلف هذا الكتاب وضياعه في عصر الشيخ الطوسي.

[٣]- انظر: الهامش أعلاه.

[٤]- - انظر: الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، ج١، ص٢٨، وص ١٠٠ ـ ١٠١، ١٤٠٩ هـ

[٥]- انظر: المصدر أعلاه، ح١، ص٧٩-١٢٧؛ الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، ص١٥٤؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص٦٣-٦٧.

[٦]- انظر: الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، ص١٣٢-١٤٠. ولا سيّما عبارته في نهاية الحديث في ص١٤٠.

[٧]- انظر: الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٢-٣٧؛ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ص١٢-١٣؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص١٩٢-٢٢٨.

والروايات المنقولة عن الشيعة من أصحاب المذاهب الفاسدة، ومن بينهم الواقفيّة[١]، وإن مجرّد ذهاب الراوي إلى الوقف لا يشكّل دليلاً على عدم اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية بمفاد الخبر المنقول عنه[٢].

إنّ من بين الأدلّة التي يسوقها كولبرغ على عدم قطعيّة الاعتقاد باثني عشر إمامًا وغيبة آخرهم بين الإماميّة الأوائل، فحتى في حالة قبول الأصل الإجمالي للاعتقاد بهذا الموضوع، هو عدم تحديد أسماء هؤلاء الأئمّة في النصوص الشيعية الأولى[٣]. وبطبيعة الحال فإن دليله الوحيد هو عدم ذكر الأسماء في هذه النصوص[٤].

وفي هذا الشأن لا بدّ من الالتفات إلى نقطتين، الأولى: إن عدم ذكر الاسم لا يُشكّل دليلاً على عدم قطعيته ومعرفته، وما أكثر الأدلّة والأرضيّات التي توجب عدم بيان وإيضاح أمر معلوم وواضح، ولا سيّما بشأن المهدي؛ حيث كانت توجد مثل هذه الملاحظات بشأنه قطعًا[٥]. والنقطة الثانية: إنه من وجهة نظر المتكلمين الشيعة الاثنى عشرية لا ينحصر بيان أسماء الأئمة وصفاتهم بالتعريف بهم في موضع واحد من قبل النبيّ الأكرمﷺ والأئمّة الأوائل، ويكفي أن ينصّ كل إمام سابق على اسم الإمام اللاحق بعده وصفاته وخصائصه[٦]، وعلى هذا الأساس فإنه على فرض عدم الذكر الدقيق والكامل لأسماء الأئمة في موضع واحد في النصوص الأولى، إلا أن هذا لا يضرّ شيئًا بعقيدة الإمامية.

وعلى كل حال، يبدو أن عدم ذكر أسماء الأئمة في النصوص الأولى، لا يُشكّل

---

[١]- انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، عُدّة الأصول، ج١، ص٣٤٩-٣٦١. وللوقوف على بحث جامع نسبيًا في هذا الشأن، انظر: الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، ج١، ص٢٨، وص ١٧٦-١٨٤، تحت عنوان: «العمل بأخبار أصحاب المذاهب الفاسدة»، و«الاعتماد على رواية الواقفة دون سواهم». قال الشيخ الطوسي في مستهل كتاب الفهرست: «إن كثيرًا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة». انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الفهرست، ص٢. وانظر أيضًا: الهامش الأول من الصفحة الثانية.

[٢]- انظر: الهامش أعلاه.

[٣]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٢-٥٢٣.

[٤]- انظر: م.ن، ص٥٢٢-٥٢٣.

[٥]- سوف يكون لنا مزيد من البحث في هذا الشأن في الفصول اللاحقة.

[٦]- انظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٢٨٤-٢٨٥. وقد تمّ في هذا الباب («باب الأمور التي توجب حجّة الإمام») بيان طرق عامّة لإثبات إمامة كل واحد من الأئمة.

دليلاً مناسبًا على توجّه الإمامية إلى قبول الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر في المراحل اللاحقة. ومن ناحية أخرى فإنّه من خلال النصوص التي يستند إليها كولبرغ بوصفها شاهدًا على عدم قطعيّة وتحديد اسم الإمام الثاني عشر وعدم اتّفاق الإمامية في هذا الشأن، يتّضح أن اسم الإمام الثاني عشر -خلافًا لما ذهب إليه كولبرغ- كان معلومًا عند الإماميّة، وإنهم كانوا يتعمّدون إخفاءه وعدم ذكره[١].

[١]- إن كلام النوبختي في كتاب (فرق الشيعة) في هذا الشأن على النحو الآتي: «(نقلاً عن الإمامية) ... ولا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه حتى يؤمر بذلك إذ هو -عليه السلام- مغمور خائف مستور بستر الله تعالى، وليس علينا البحث عن أمره بل البحث عن ذلك وطلبه محرّم لا يحلّ ولا يجوز؛ لأن في إظهار ما ستر عنا وكشفه إباحة دمه ودمائنا وفي ستر ذلك والسكوت عنه حقنهما وصيانتهما». (انظر: النوبختي، الحسن بن موسى (المتوفى سنة ٣٢٠هـ)، فرق الشيعة، ص١١٠).

ونقرأ في كتاب (المقالات والفرَق) في هذا الشأن ما يلي: «... وكذلك حكي عن أبي إبراهيم (موسى بن جعفر) من منع تسمية (القائم) مثل ما حكي عن أبيه كل ذلك تقية وتخوّفًا من العدو» (انظر: الأشعري، سعد بن عبد الله، المقالات والفرَق، ص١٠٥).

وقد جاء فهم كولبرك لهذين النصين في الصفحة ٥٢٢ من النص الإنجليزي، وفي الصفحة ٢٠٢ من هذه المقالة. إن النموذج الآخر لفهم كولبرغ للمصادر حيث يبدو خاطئًا، نقل كلامه عن كتاب الغيبة للنعماني في موضوع أولاد إسماعيل، وتسهيلاً للمقارنة سوف نعمل على عرض نص كتاب الغيبة للنعماني في الصفحة رقم ١٠٩، ونقل كلام كولبرغ في هذه الصفحة:

«فممّا ثبت في التوراة مما يدل على الأئمة الاثني عشر ما ذكره في السفر الأوّل فيها من قصة إسماعيل بعد انقضاء قصة سارة وما خاطب الله تعالى به إبراهيم في أمرها وولدها قوله عزّ وجل: «وقد أجبت دعاءك في إسماعيل، وقد سمعتك ما باركته وسأكثره جدًا جدًا، وسيلد اثني عشر عظيمًا، أجعلهم أئمة كشعب عظيم». أقرأني عبد الحليم بن الحسين السمري -رحمه الله - ما أملاه عليه رجل من اليهود بأرّجان يقال له الحسين بن سليمان من علماء اليهود بها من أسماء الأئمة بالعبرانية وعدتهم، وقد أثبته على لفظه، وكان فيما قرأه أنه يبعث من ولد إسماعيل -في التوراة اشموعيل- يسمّى «مامد» يعنى محمّدًا يكون سيّدًا، ويكون من آله اثنا عشر رجلاً أئمة وسادة يقتدى بهم وأسماؤهم «تقو بيت، قيذوا، ذبيرا، مفسورا، مسموعا، دوموه مثبو، هذار، يثمو، بطور، نوقس، قيدموا».

وسئل هذا اليهودي عن هذه الأسماء في أي سورة هي؟ فذكر أنها في مشلي سليمان يعني في قصّة سليمان وقرأ منها أيضًا قوله: «وليشمعيل شمعتيخا هنيي برختي اوتو وهيفريتي اوتو وهيريتي أتو بميئد مئد شنيم عاسار نسيئيم يولد ونتتيو لغوي غادل.

وقال تفسير هذا الكلام: أنه يخرج من صلب إسماعيل ولد مبارك عليه صلاتي وعليه رحمتي، يلد من آله اثنا عشر رجلاً يرتفعون ويبجلون ويرتفع اسم هذا الرجل ويجل ويعلو ذكره، وقرأ هذا الكلام والتفسير على موسى بن عمران ابن زكريا اليهودي فصححه، وقال فيه إسحاق بن إبراهيم بن بختويه اليهودي الفسوي مثل ذلك، وقال سليمان بن داود النوبنجاني مثل ذلك...».

وجاء فهم كولبرغ لنص الغيبة للنعماني في النص الإنجليزي، ص٥٢٦-٥٢٧ على النحو الآتي:

Al-Nu'mani, For instance, sets out to defend it by being himself on al-sifr al-aweal (I. e. Genesis). He eiten a statement by al-Hasan b. Sulayman, e Jewish scholar from Arrajan, to the effect that Ishmael was also called Mad. This is a supposedly Hebrew word meaning 'the praised one (muhammed)', and it is therefore also the Hebrew from of the Prophet's name. Once it is established that Ishmel and Muhammad share an identical name, it is easy to see how the same idea may be applied to Ishmacl's sons and Muhammad's desobedants. And indeel, al-Hasan b. Sulayman enumerates the names of

وعلى كل حال، فإنّ الدليل الأصلي لكولبرغ على عدم اعتقاد الإمامية في مراحلهم الأولى بالأئمة الاثني عشر وغيبة آخرهم، هو عدم العثور على شواهد واضحة في هذا الشأن في النصوص الأولى، وإنه على فرض صحة مقدمة هذا الاستدلال، إلّا أنّ أسلوب الاستدلال لا يبدو صحيحًا؛ إذ هناك بشأن جماعة لم تصل جميع آثارهم إلينا، الكثير من القرائن الدالّة على إخفائها، والظروف السياسية الخطرة التي كانوا يعيشون فيها، وعليه فإنّ عدم الوجدان في هذه الحالة لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم الوجود.

٣. وقفة مع تحليل المؤلّف بشأن دوافع الإماميّة نحو هذا الاعتقاد

في الفقرتين الأخيرتين من المقالة، ذكر كولبرغ -من خلال التأكيد على الغموض الموجود في أدلة نزوع الإمامية إلى الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر- بعض النقاط بقطعيّة أكبر، وخلاصتها على النحو الآتي: إنّ الإماميّة من خلال اعتناق هذه العقيدة من جهة قد أوجدوا جاذبية فكرية وسياسية لدى الشيعة، ومن جهة أخرى تمكّنوا -من خلال الاقتراب من مراكز السلطة البويهيّة- من العمل على تقوية أنفسهم وإضعاف أهل السنّة، وقد عمد علماء الإمامية إلى الاستفادة من الأرضيّات الفكريّة للانتقال نحو الاثنى عشرية[١].

وفيما يتعلّق بهذا التحليل، تبدو لنا النقاط الآتية:

إنّ سبب غيبة الإمام الثاني عشر هو الحفاظ على حياته في مواجهة ظلم أجهزة السلطة والخلافة، وإنّ استمرار هذه الغيبة كان بسبب عدم توفر شرائط الظهور، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك والتأكيد عليه منذ البداية في النصوص الكلاميّة الشيعيّة (في القرن الرابع للهجرة)[٢].

---

the 12 sons of Ishmeel and explains that these also refar to the 12 Imams. When asked where (literally, in which suru) these names occur, he (erroneously) mentions Mishls Sulayman, i. e. the Book of Proverbs. As further evidence, al-Hasan also quotes the passage, 'I have heard your prayer for Ishmael. I have blessed him and will make him fruitful. I will multiply his desendants; he shall be father of twelve princes, and I will raise a great nation from him' (Gen. xvii, 20). Three other Jews subsequently confirm the genuineness of these quotations and support the interpretations given to them by al-Hasan b. Sulayman.

[١]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣٣-٥٣٤.

[٢]- انظر على سبيل المثال: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، محمّد بن محمّد، الفصول

وكذلك لا يمكن إنكار ما تنطوي عليه هذه الغيبة من النتائج النفسية الإيجابية من حيث تزويد الشيعة بالروحية والتفاؤل والأمل[١]. وهناك من اعتبر الحديث المأثور عن الإمام الكاظم عليه السلام، والذي يقول فيه: «إن الشيعة تربّى بالأماني منذ مئتي سنة»، بمنزلة تأييد الإمام الكاظم عليه السلام للأثر النفسي الذي يتركه الأمل عند الشيعة بقيام القائم في تربيتهم وإعدادهم[٢].

وهناك من عدّ الهدف من قيام وظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه عبارة عن فلسفة اجتماعية إسلامية كبرى، وإن أهم ركن وعنصر فيها هو التفاؤل بمستقبل البشرية[٣]؛ ولذلك فإن الصورة المطلوبة للانتظار هي صورة الانتظار المتناغمة مع هذه الغاية[٤]. وكذلك لا يمكن استبعاد أنه مع بداية الغيبة -ولا سيّما الغيبة الكبرى- يبدو من الطبيعي أن تقلّ ضغوط الحكومات على الشيعة الذين كانوا يدّعون أن إمامهم يعيش في الخفاء وإنهم لا يعرفون مكان تواجده[٥].

وأمّا القول بأنّ علماء الإمامية هم الذين قرروا -من خلال تقديرهم للأوضاع الاجتماعيّة وموقع الشيعة في المجتمع- بأن يؤسّسوا لهذا الاعتقاد كي يستفيدوا من

العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص١٥-١٦. وقارن ذلك بالترجمة الفارسية لهذا الكتاب؛ انظر: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، ده انتقاد و پاسخ پيرامون غيبت حضرت مهدي ، (الفصول العشرة في الغيبة)، ص٥٠-٥٣؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص٩٧-١٠٥. وفيما يتعلق بالإجابة عن السؤال القائل: لماذا لم يغب الأئمة السابقين -الذين كانوا يواجهون ضغوطًا أكبر- غيبة كبرى؟، انظر: الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٥-٤٨.

[١]- انظر على سبيل المثال: ركني، محمّد مهدي، نشاني از امام غائب: بازنگري و تحليل توقيعات، ص١١٢-١١٤. تحت عنوان: «آثار رواني و رفتاري عقيده به مصلح موعود».

[٢]- انظر على سبيل المثال: الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، ج١، ص٢٨، وص ١٠٥-١١٠، تحت عنوان: «أماني الشيعة في الانتظار».

[٣]- انظر على سبيل المثال: المطهري، مرتضى، قيام و انقلاب مهدي، از ديدگاه فلسفه تاريخ (مع ملحق الشهيد)، ص٥٧ فما بعد. (مصدر فارسي).

[٤]- المطهري، مرتضى، قيام و انقلاب مهدي، از ديدگاه فلسفه تاريخ (مع ملحق الشهيد)، ص٦١-٦٨، تحت عنوان «دو نوع انتظار». وانظر -على سبيل المثال- نماذج أخرى من قبيل: شريعتي، علي، فلسفه انتظار (انتظار؛ مذهب اعتراض)؛ الصافي، لطف الله، انتظار عامل مقاومت و حركت؛ تاجري، حسين، انتظار بذر انقلاب: نگرشي عميق بر أبعاد فردي و اجتماعي انتظار ظهور و نقد اتهامات وارده بر اين وظيفه سازنده؛ الصدر، السيد محمّد، رسالت اسلامي در عصر غيبت. كما يمكن حمل الأحاديث الخاصة بعدم توقيت الظهور على هذه المسألة أيضًا. انظر على سبيل المثال: معجم أحاديث الإمام المهدي، إشراف الشيخ علي الكوراني، ج٣، ص٢٦٤.

[٥]- ركني، محمّد مهدي، نشاني از امام غائب: بازنگري و تحليل توقيعات، ص٦٧. (نقلاً: عن تاريخ سياسي غيبت امام دوازدهم).

ثماره ونتائجه[١]، فهو محل تأمّل كبير. ففي الدرجة الأولى من غير المعلوم ما الذي كانت عليه الخصائص الفكريّة لدى الإماميّة قبل اعتناق هذا الاعتقاد، وبالنظر إلى محوريّة هذه العقيدة في المنظومة الفكريّة لهم، وكيف يمكن تمييز الإماميّة الأوائل من الإماميّة الجدد.

وثانيًا: لا توجد هناك أيّ قرينة تاريخيّة تؤيّد اجتماع علماء الإماميّة واتخاذهم القرار في هذا الشأن، كما أنّ توجّههم المنفصل عن بعضهم والمتزامن والمنسجم في الوقت نفسه يبدو مستبعدًا جدًّا.

وثالثًا: لو صحّ هذا التحليل من المؤلّف، فما الذي حمل علماء الشيعة على اختلاق أو القبول بالكثير من الأحاديث حول سائر خصائص إمامهم الغالب، ولا سيّما فيما يتعلق بعلامات ظهوره؟[٢] ولو قبلنا بدعوى أخذ هذه الأحاديث من أهل السنّة، فما هو السبب في إحداث التغيير فيها[٣]؟ ومن ناحية أخرى لو كانت غاية الإمامية هي الاقتراب من مركز السلطة والحكم، ألم يكن بمقدورهم قبل مجيء البويهيّين أن يقلّلوا من ضغوط الحكومات عليهم من خلال إجراء بعض التعديلات على آرائهم، وأن يقتربوا منها أيضًا كما اقتربوا من البويهيّين؟ وكذلك ما الذي كان يدعو الشيعة الإماميّة إلى اختلاق أو اعتناق هذا الاعتقاد للتقرّب من البويهيّين؟ وهل كان البويهيّون -الذين لا يُعرف ما إذا كانوا من الشيعة الزيديّة أو من الشيعة الاثنى عشريّة[٤]، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قد سالموا سلطات الخلافة السنيّة[٥]- يرون

[١]- لقد عمد كاتب مقالة «نكت من فهرست الشيخ الطوسي فيما يتعلق بمرحلة الإمامية الأولى» إلى بيان بعض الآراء في هذا الشأن، قائلًا: «في مدة ربع قرن أو حوالي ذلك بعد وفاة الإمام العسكري، تم الخوض في هذه الرؤية [الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر] بشكل قاطع، وتم تنظيم أنصار هذه الرؤية ضمن نظام واحد. وقد ترتب على هذا المسار منافع ونتائج عديدة، ومن بينها: صار بمقدور الإمامية أن يبعدوا عن أنفسهم شبهة التورّط في الحركات الثورية، وتحويل القيادة الحقيقية إلى ساسة مقتدرين بدلًا من إعطاء مقاليد القيادة إلى الإمام الذي قد يكون مجرّد طفل قليل التجربة». انظر: واط، مونتغمري، «نكاتي از فهرست شيخ طوسي مربوط به دوران اوليه امامت»، ج٣، إعداد: محمّد واعظ زاده خراساني، ص٥٨٦.

[٢]- انظر على سبيل المثال: النعماني، محمّد بن إبراهيم (ابن أبي زينب) (المتوفى في القرن الرابع للهجرة)، الغيبة، ص٣٠-٣٢، وص٢٤٧-٢٨٣، وص٢٩٩-٣٠٧، وص٣١١-٣١٦، وص٣١٧ فما بعد. وانظر أيضًا: ابن حمزة، عماد الدين محمّد بن علي (حي حتى عام ٥٦٠هـ)، الثاقب في المناقب، ص٥٨٣-٦١٥.

[٣]- إنّ الأخبار والأحاديث الخاصّة بهذا الموضوع في نصوص الإمامية، تختلف عن الأحاديث الموجودة في نصوص أهل السنة.

[٤]- انظر: دائرة المعارف بزرگ اسلامي، بإشراف: السيد كاظم الموسوي البجنوردي، ج١، ص٦٤٠. (مصدر فارسي).

[٥]- انظر: م.ن، ص٦٤٠-٦٤١.

محدوديّة بالنسبة إلى الإماميّة (في حالة عدم القبول بهذا الاعتقاد)؟ ألم يكن في الحرية التي وفرها البويهيّون لجميع الفرَق والمذاهب من بين الأسباب المؤثّرة في ازدهار الثقافة والحضارة الإسلاميّة في القرن الهجري الرابع؟ وعليه فما الذي كان يدعو الإماميّة إلى إعادة النظر في أصول عقيدتهم؟ يبدو أنّ الاعتقاد أو عدم الاعتقاد بالأئمّة الاثني عشر ومسألة الغيبة، ليس له أيّ صلة أو تأثير بنوع الارتباط والعلاقة بين الإماميّة وآل بويه. وكذلك لو قبلنا بتحليل المؤلّف فما هو التفسير الذي يمكن تقديمه بشأن التوقيعات؟ فهل ينبغي اعتبارها من الأمور المختلفة أيضًا؟ فهل كان صدور التوقيعات من الإمام الثاني عشر هو من قبيل عدد الاثني عشر والغيبة موجودًا بين الأديان السابقة والفرَق الإسلاميّة المتقدّمة على الشيعة الاثني عشريّة وقد أخذوها عنهم أيضًا؟ أم ...؟ وفي الأساس، لماذا لم تكن هناك أيّ إشارة من المؤلف المحترم في مقالته إلى ظاهرة «التوقيعات» التي تحتل مكانة مهمّة في الاعتقاد بالإمام المهدي لدى الشيعة الاثني عشريّة؟ وبالتالي فإنّ الإماميّة الذين كانوا يعانون -باعتراف كاتب المقالة- من اضطهاد الحكومات على الدوام[١]، لماذا لم يسبق لهم مثل سائر الفرق الأخرى أن يدّعوا الغيبة لواحد من أئمتهم المتقدّمين؛ ليحصدوا ثمار ونتائج هذا الادّعاء بشكل مبكر؟

فهل يمكن في التحليل الدقيق والشامل المرور بهذه الأسئلة مرور الكرام؟ وعلى كل حا،ل فإنه بالنظر إلى هذه الأسئلة لا يبدو التوجيه المتقدّم من قبل المؤلف كافيًا لبيان دوافع الإمامية نحو هذه العقيدة.

تقويم كيفيّة رؤية المؤلّف إلى هذا الموضوع

يبدو من خلال الدراسة الدقيقة للرؤية العامّة للكاتب تجاه الإماميّة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى وكأن كولبرغ ينظر إلى الإمامية بوصفهم مستقلّين عن التيّارات السياسيّة/ الثقافية الأخرى في هذه القرون الثلاثة، وقدّم مثل هذا التحليل على أساس ذلك. بمعنى أننا لو اعتبرنا الإماميّة فرقة كانت تعيش في جزيرة منعزلة، دون أن نأخذ المنعطفات التاريخيّة الصاخبة لذلك في تلك القرون الثلاثة، سوف لن يكون من الصعب علينا القبول بمثل هذا التحليل. وأمّا إذا لاحظنا الشيعة الإماميّة بالنظر إلى

[١]- انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣٣، وص٢١٢.

ما يزيد على ثلاثة قرون من الحياة السياسيّة والثقافيّة الخاصّة، وفي ظل أحداث هذه القرون الثلاثة، عندها لن يكون من السهل غضّ الطرف عن عشرات الأسئلة ومواطن الإبهام والغموض والقبول بهذا التحليل.

لقد قبل جميع المؤرخين تقريبًا بمدعى الإماميّة القائل بأن الشيعة قد بدأوا مرحلة عصيبة وحرجة جدًّا -بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام- من حياتهم السياسيّة والثقافيّة. وإن رعاية التقية التي كانت تعدّ في برهة من تاريخ الشيعة جزءًا من لوازم الدين[١]، كانت بالإضافة إلى أنّها تشكل ضمانة لأمن الأئمّة وأتباعهم، قد أدّت في الوقت نفسه إلى كتمان الحق وعروض بعض مواطن الغموض والإبهام والاختلاف والتماهي مع المخالفين وظهور بعض الانحرافات الكثيرة بين الإماميّة[٢]. إنّ أئمّة الشيعة في الكثير من الموارد رغم علمهم بهذه المعضلات، إلّا أنّهم من أجل الحصول على بعض المصالح الأولى والأسمة والحيلولة دون تعريض كيان الشيعة للخطر من قبل أجهزة الحكم، لم يكونوا يستطيعون ولا يرومون العمل على إيضاح الأمور بشكل واضح ومعلن. لقد كانوا على الدوام يؤكّدون بمختلف الأشكال على أصل الإمامة، ويعملون على إرشاد الناس إليها، بيد أن الشؤون الأكثر تفصيليّة وحساسيّة بما يرتبط بالإمامة، من قبيل أسماء الأئمّة عليهم السلام، وتحديد الإمام اللاحق، وحتى عدد الأئمة، تعدّ من بين أهم المسائل التي تراعى فيها شروط التقية، ولهذا السبب كانت هناك على الدوام بعض مواطن الغموض والإبهام في هذه الشؤون، لا سيّما بعد رحيل كل إمام - وهناك الكثير من القرائن التي تؤيّد هذا الدعاء من قبل الإماميّة، وإليك فيما يلي بعض النماذج:

نقل البرقي في كتابه المحاسن حديثًا يسأل فيه عمر بن مسلم الإمام الصادق عليه السلام عن أسماء الأئمّة عليهم السلام، فذكر له الإمام الصادق عليه السلام أسماء الأئمّة ابتداءً من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام الباقر عليه السلام، ثمّ أحجم عن ذكر أسماء الأئمة الآخرين، رغم سؤال عمر بن مسلم عمّن هو الإمام بعد الإمام الباقر عليه السلام واحتمال أن يكون هو الإمام

[١]- من قبيل: «إن التقية ديني ودين آبائي»، أو «لا إيمان لمن لا تقيّة له». (الحر العاملي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج٦، ص٤٦٠).

[٢]- للوقوف على بيان واضح وصريح في هذا الشأن، انظر على سبيل المثال: ابن بابويه، علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص١٤٣: «ولمعاني التقية والمدافعة عن الأنفس اختلفت الروايات ... ولولا التقية والخوف ما حار أحد ولا اختلف اثنان ولا خرج شيء عن معالم دين الله تعالى إلّا على كلمة لا تختلف وحرف لا يشتبه».

الصادق، وقد كرر هذا السؤال أربع مرّات، وكان الإمام في كل مرّة يقدم له جوابًا مبهمًا وغامضًا دون ردّ هذا الاحتمال، ولكنه كان مع ذلك يحجم عن التصريح بكونه هو الإمام[١].

وإنّ الإمام الصادقعليه السلام لكي يحبط محاولة المنصور العباسي في التعرّف على من يخلفه، عمد إلى التعريف بالإمام موسى الكاظم وأربعة أو خمسة آخرين -من بينهم المنصور نفسه والوالي على المدينة- بوصفهم أوصياء له، وبذلك أبطل مفعول خطة المنصور الذي سبق له أن أمر والي المدينة بالذهاب إلى منزل الإمام الصادقعليه السلام وقتل وصيه[٢]. ولكنّه في الوقت نفسه قد ترك غموضًا وإن لم يكن لغير الخاصّة[٣] بشأن خليفته الحقيقي.

وفي إرشاد المفيد هناك بشأن بداية إمامة الإمام السابع [موسى الكاظمعليه السلام] رواية تثبت بوضوح خفاء إمامته، وأمره بالإبقاء على خفائها[٤].

وفي عيون أخبار الرضاعليه السلام رواية عن الإمام الكاظمعليه السلام يقول فيها عن ولده الإمام الرضا إنه يجب أن لا يتحدّث في العلن إلى أربع سنين بعد وفاة هارون (المتوفى سنة ١٩٣هـ)[٥]. ومن الطبيعي أن يتمّ التشكيك والتردّد من قبل الإماميّة حول الإمام الذي يخفي إمامته أو لا يتمكّن من إظهارها لعدّة سنوات.

وجاء في قرب الإسناد أنّه عندما سُئل الإمام عن خليفته، عمد الإمام إلى عدم إعطاء جواب واضح بقوله: «هذا الذي سألت عنه ليس هذا وقته»، وفي الوقت نفسه قال بعد قول السائل: إنما سألتك عن ذلك حتى لا يقع الشيعة مرّة أخرة في البلية التي وقعوا فيها بعد رحيل والدك: «الفرض عليه [أي: على الإمام] ... أن يحتج في الإمام من بعده بحجّة معروفة مثبتة ...»[٦].

[١]- انظر: البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، ص٢٨٨-٢٨٩.

[٢]- انظر: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص١٤.

[٣]- انظر: العلامة المجلسي، محمّد باقر (المتوفى سنة ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٤٧، ص٣٤٣-٣٤٥؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن إعلام الورى بأعلام الورى، ص٢٨٦-٢٨٧.

[٤]- انظر: المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ص٢١٣-٢١٥.

[٥]- انظر: الصدوق، محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضاعليه السلام، ص٤٣.

[٦]- انظر: الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، ص١٦٦-١٦٧؛ الصدوق،

وبعد رحيل الإمام الرضاعليه السلام واجه الإمامية وضعًا أكثر تعقيدًا؛ وذلك لأنّ الخلفاء الذين كانوا يعلمون أن قائم آل محمّد يخرج من هذا البيت، كانوا يراقبون الأئمّة بمزيد من الدقة، بل وقد عمدوا إلى إشخاص الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكريعليه السلام إلى مقرّ عاصمة الخلافة لإخضاعهما إلى رقابة مشدّدة وضيّقة[١].

من الطبيعي في ظلّ هذه الظروف العصيبة، أن تحظى الأخبار الخاصّة بالإمام الثاني عشرعجل الله فرجه -الذي كان يقال إنه يطيح بحكومات الظلم والجور- بحساسيّة أكبر. وبموجب حديث مذكور في كتاب الغيبة للنعماني كان حتّى الأئمّة الذين تفصلهم عن ولادة وغيبة الإمام الثاني عشرعجل الله فرجه مدّة زمنيّة طويلة نسبيًّا، يحجمون عن التعريف الدقيق بهذا الإمام رعاية للمسائل الأمنية. وبمقتضى هذا الحديث كان الإمام الباقرعليه السلام قد أجاب عن سؤال أبي خالد الكابلي الذي سأل الإمام أن يعرّفه على الإمام «القائم» باسمه، قائلاً: «سألتني -والله- يا أبا خالد عن سؤال مجهد، وقد سألتني عن أمر ... لو كنت محدّثًا به أحدًا لحدّثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة»[٢][٣]. كما نرى هذا المضمون في كتاب فرق الشيعة للنوبختي -في تعريف الإمامية بعد رحيل الإمام الحسن العسكريعليه السلام- أيضًا، إذ يقولعليه السلام: «ولا يجوز ذكر اسمه [الإمام الثاني عشرعجل الله فرجه] ولا السؤال عن مكانه حتى يؤمر بذلك؛ إذ هو -عليه السلام- مغمور خائف مستور بستر الله تعالى، وليس علينا البحث عن أمره، بل البحث عن ذلك وطلبه محرّم ولا يحلّ ولا يجوز؛ لأن في إظهار ما ستر عنا وكشفه إباحة دمه ودمائنا، وفي ستر ذلك والسكوت عنه حقنهما وصيانتهما»[٤]. وإن تحريم التصريح باسم الإمام الثاني عشر ومنزلته الخاصة في الأحاديث المتعلّقة بالإمام المهديعجل الله فرجه[٥] إنما يكتسب مفهومه ومعناه الصحيح في

محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضاعليه السلام، ص٤٣؛ الصدر، السيد محمّد، تاريخ الغيبة الصغرى، ص٧٧.

[١]- انظر: سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، ص٣٢٢؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص١٣ ـ ١٥؛ العلامة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٠٠-٢٠٢؛ الصدر، السيد محمّد، تاريخ الغيبة الصغرى، ص١٠١-١٠٢.

[٢]- انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي، إشراف| الشيخ علي الكوراني، ج٣، ص٢٢٩.

[٣]- النعماني، محمّد بن إبراهيم (ابن أبي زينب) (المتوفى في القرن الرابع للهجرة)، الغيبة، ص٢٨٩.

[٤]- النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ص١١٠. وقد سبق أن تم الاستناد إلى هذه العبارة بمناسبة أخرى (ص٦٢).

[٥]- انظر على سبيل المثال: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٣٣٢.

هذا الإطار، ويمكن الوقوف على دليلة وسببه أيضًا[١].

وعلى كلّ حال، فإنه بالنظر إلى هذه القرائن في نصوص الإماميّة، وبالنظر إلى تأييد القيود والضغوط المفروضة على الشيعة (الإماميّة) من قبل المؤرّخين[٢]، فإنّ اقتراب أي تحليل بشأن تاريخ الإماميّة وعقائدهم من الواقع رهن بالالتفات الدقيق لوضعهم ومكانتهم في المجتمع الإسلامي في تلك المرحلة الزمنيّة. وعلى هذا الأساس ربما أمكن تقديم احتمال جديد لتنظيم وترتيب النظام الاعتقادي للإمامية بشأن الأئمّة الاثني عشر ومفهوم الغيبة. وسوف نناقش هذا الاحتمال في القسم الآتي.

اقتراح احتمال جديد

بالنظر والاستناد إلى ما تقدّم من المطالب، يمكن بيان احتمال جديد حول جذور ومراحل انتشار نظرية الأئمة الاثني عشر وغيبة الإمام الثاني عشر بين الإمامية، فقد تقدّم في الأبحاث السابقة، ولا سيّما مطالب القسم الرابع والثالث التي هي بمثابة المدخل لبحثنا الراهن، يمكن تقديم احتمال جديد على النحو الآتي: إن عدد الاثني عشر «اثنى عشر نقيبًا أو حواريًّا أو غير ذلك»، وخروج رجل يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كان موجودًا حتى في الحضارات والأديان السابقة، ولذلك فإنه لم يكن أمرًا غير مسبوق بالنسبة إلى المسلمين[٣]. وإنّ النبيّ الأكرمﷺ بأمر من الوحي قد ذكر هذه النظرية -التي تعدّ من جملة أصول الدين الإسلامي وأركانه[٤]- بدوره بين أتباعه أيضًا[٥]. لقد كانت المسألة الأهم بالنسبة إلى النبيّ الأكرمﷺ عبارة عن تثبيت أصل

[١]- انظر: الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج٦، ص٤٨٥-٤٩٢.

[٢]- ومن بينهم شخص كولبرغ، ص٢١٢ من هذا العدد من الفصلية.

[٣]- انظر على سبيل المثال: آراء ومستندات كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٩، وص٢٠٨ من هذا العدد من الفصلية.

[٤]- وبطبيعة الحال فإن الاعتقاد باثني عشر خليفة على الرغم من توفره في مصادر أهل السنة، إلا أنه لم يُعدّ بوصفه أصلاً دينيًا إلا من قبل الإمامية فقط (انظر: العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص١٨٨-١٨٩)، بيد أن قيام الإمام المهدي كان مقبولاً من قبل جميع الفرق الإسلامية بوصفه أصلاً ثابتًا في الدين الإسلامي (انظر: فقيه إيماني، مهدي، الإمام المهدي عند أهل السنة، ج١ و٢، مكتبة أمير المؤمنينعليه السلام العامة).

[٥]- يذهب الإمامية إلى الاعتقاد بأنّ النبيّ الأكرمﷺ قد أكد في مختلف المناسبات من بداية الإعلان عن دعوته إلى وقت رحياه على هذه المسألة. (انظر على سبيل المثال: التستري، القاضي السيد نور الله الحسين المرعشي (المتوفى سنة ١٠١٩هـ)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مع تعليقات آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، ج٢ فما بعد، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم).

الإمامة لعلي عليه السلام وأولاده عليهم السلام. وربما لو سارت مسألة الخلافة على الشكل الذي أراده رسول الله[١]، وتوفّرت الظروف الكافية للمسار الصحيح في المجتمع الإسلامي بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، لما حدثت الغيبة أبدًا[٢]. ومن هنا فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إنما أكّد على أصل أن خلفاءه (بالحق) هم اثنى عشر خليفة من نسله، وإن آخرهم سوف يملأ الأرض قسطًا وعدلاً[٣]. إن الفترة الزمنية الممتدة لربع قرن من الزمن من بداية رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وبداية خلافة الإمام علي عليه السلام، وما تلاها من الأحداث -خلال ستة أعوام من حكم الإمام علي عليه السلام ونجله الإمام الحسن عليه السلام- والاضطرابات الداخليّة، والسيطرة الشاملة لبني أميّة على الساحة السياسيّة في البلاد الإسلاميّة، أدّت إلى نسيان وغفلة الناس عن أركان من الدين الإسلامي، ومن بينها أصل الإمامة[٤].

إنّ أئمّة الشيعة على الرغم من ظروف التقية التي كانوا يعيشون فيها، بذلوا كل ما بوسعهم من أجل إحياء أصل الإمامة في قلوب الناس وأذهانهم، ولكنهم كانوا في الكثير من الموارد يحجمون حتى عن التعريف بمن يخلفهم في الإمامة رعاية للظروف الأمنيّة، حيث تقدم ذكر نماذج من ذلك في الموضع السابق. وفي جميع هذه المراحل كانت فكرة خروج الإمام المهدي وحتى غيبته[٥]، من الشيوع والمقبوليّة بحيث إنها، بالإضافة إلى التأثير على الحركات السياسيّة والمذهبيّة[٦]، قد أثارت شهيّة البعض إلى

[١]- إن الإمامية -على سبيل المثال- يذهبون إلى الاعتقاد بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان في حادثة الغدير يتوجس خيفة من كيفيّة الإعلان عن ولاية وخلافة الإمام علي عليه السلام بعده، وأنّ الله سبحانه وتعالى أنزل عليه الآية ٦٧ من سورة المائدة، لكي يطمئن من ناحية الخطر المحتمل (انظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (المتوفى في القرن السادس للهجرة)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٢٣).

[٢]- إن هذا الاحتمال يقوم على أساس فرضية أن غيبة الإمام الثاني عشر، إنما كان نوعًا من اتخاذ القرار، ورسم المسار، والتخطيط، وردّة فعل سياسية وما إلى ذلك، من قبل الإمام في مواجهة أوضاع المجتمع، ولا يعد بالضرورة جزءًا من أركان الدين -لا سيّما قبل وقوع هذا الأمر- بمعنى أنه كما لا يمكن صلح الإمام الحسن عليه السلام، وثورة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والنشاط الثقافي والفكري للإمام الصادق عليه السلام، وقبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد، ومسارات من هذا القبيل بوصفها جزءًا من الأركان الدينية، ولم تكن متوقعة قهرًا -إلا بوصفه من الإخبار بالمغيبات- فإنّ غيبة الإمام الثاني عشر بدورها إنما كانت عبارة عن مسار سياسي فقط. وإن إثبات هذه الفرضية يحتاج إلى بحث مستقل.

[٣]- للوقوف على الروايات المأثورة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المصادر الشيعية والسنية، انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١ و٢.

[٤]- انظر على سبيل المثال: الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، ص١٣٢-١٣٣، و١٥٤، وص٦٥-٦٦، ذات هذا العدد من هذه الفصلية.

[٥]- انظر: الأميني، إبراهيم، «سير تاريخي مسأله غيبت»، مفكرة مؤتمر ألفية الشيخ الطوسي، ج٣، ج١، ص٢٨٧-٣١٤.

[٦]- يرى حسن إبراهيم حسن أن الاعتقاد بالإمام المهدي كان له أثر كبير في سقوط الدولة الأمية، انظر: حسن، حسن

ادّعاء المهدويّة[١]، كما ذهبت جماعات أو أفراد من الإمامية بدورهم بسبب تقية أئمتهم وعدم تمكّنهم من البيان الواضح، إلى اعتبار بعض الشخصيّات السياسيّة/ الدينيّة مصداقًا للمهدي الموعود[٢]. وقد أدى شيوع هذه الفكرة حتى إلى اختلاق أحاديث تدعي أن المهدي من سلالة العباس ومن بني أميّة أيضًا[٣]. وإن فكرة الوقف بدورها تعدّ من تبعات هذه المرحلة؛ حيث بلحاظ عدم تعيّن الإمام اللاحق، كان يظهر بعد رحيل كل إمام عدد من الناس يقولون بأنه هو الإمام الغائب والقائم، ولم تنحصر هذه الظاهرة بالواقفين على الإمام الكاظم عليه السلام[٤]. إن الخاصّة من أصحاب الأئمّة عليهم السلام بدورهم إما لم يكونوا يعلمون من هو الذي يخلف الإمام السابق، أو إذا كانوا يعلمون لم يكن يُسمح لهم بالتصريح والإعلان به[٥]؛ ولذلك فإنهم كانوا إما يتعمدون عدم ذكر الأحاديث المشتملة على هذا النوع من المعلومات في كتبهم أو كانوا يكتفون بالمرور بها على نحو الإجمال. ويحتمل أن يكون عدم الانعكاس الكبير والواسع لهذا الموضوع في النصوص الواصلة من عصر الغيبة الصغرى عائدًا إلى هذا السبب.

إن تحريم ذكر اسم الإمام الغائب وإخفاء ولادته ومحل اختفائه حتى على الكثير من الخاصة، ضمن إفشاله للكثير من جهود الخليفة العباسي من أجل العثور عليه، إلّا أنّه أدّى من ناحية أخرى إلى تفاقم الغموض فيما يتعلق بالإمام الثاني عشر عجل الله فرجه. في تلك المرحلة الضبابية، بغض النظر عن القرائن التي تؤيد صحّة ادعاء الإمامية، إلا أن إمكان اختلاق الأحاديث في هذا الشأن أو إضافة المطالب على الكتب السابقة لم يكن منتفيًا تمامًا[٦].

إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٣٥.

[١]- انظر: الإصبهاني، أبو الفرج (المتوفى سنة ٣٦٥هـ)، مقاتل الطالبيين، ص٢٤٠ و٥٣٩. وقارن ذلك مع مرتضى العاملي، جعفر، «المهدية بنظرة جديدة»، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ج١، ص٦٧-٧٠.

[٢]- انظر على بسيل المثال: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص٢٩-٣١، وقارن ذلك بترجمته الفارسية، انظر: الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، ده انتقاد و پاسخ پيرامون غيبت حضرت مهدي عجل الله فرجه، (الفصول العشرة في الغيبة)، ص١٧.

[٣]- انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي، إشراف الشيخ علي الكوراني، ج١، ص١٦٣-١٦٤، وص١٩١.

[٤]- انظر: الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، ج١، ص٣٩-٦٧.

[٥]- انظر: الصدوق، محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص٣٥؛ المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ص٢١٣-٢١٥.

[٦]- ربما كان هذا هو مراد المؤلف لتفسير الميزان الكبير في الجملة الآتية تحت الآية ٣٦ من سورة التوبة، إذ قال: «أقول: وقد ورد في عدة روايات تأويل الشهور الاثني عشر، بالأئمة الاثني عشر، وتأويل الأربعة الحرم بعلي أمير

إنّ تسلّل الأفكار المختلفة إلى العالم الإسلامي، وازدهار الفكر والحضارة الإسلامية، خلق أرضيّة خصبة لطرح هذه الأفكار والشبهات المختلفة. وإنّ وصول البويهيّين إلى السلطة إنما وفّر للإماميّة إمكانيّة الحضور في الساحة مثل كلّ الطوائف الأخرى والاستفادة من فضاء الحرية الممنوح لتضارب الآراء وتبادل الأفكار في إطار الدفاع عن كينونتهم العلميّة والثقافيّة في مواجهة شبهات المخالفين لهم. وإنّ هؤلاء المخالفين لن ينحصروا بالمعتزلة فقط[١]، بل وكان الزيدية[٢]، والملاحدة[٣]، وجماعات من أمثال: السبئيّة، والكيسانيّة، والناووسيّة، والواقفيّة، والمحمّديّة[٤]، والحشويّة، والخوارج، والمرجئة[٥]، وغيرهم يندرجون ضمن دائرة المخالفين أيضًا. إنّ انتشار هذه الضبابيّة والشبهات التي كانت ترتبط عمومًا بالإمامة وفروعها، ولا سيّما بالنسبة إلى المدن التي تبتعد عن مواطن سكن الأئمّة الأطهار عليهم السلام[٦]، تبدو مسألة طبيعيّة تمامًا بعد مضيّ ثلاثة قرون من حياة التخفي ورزوح الإمام تحت الضغوط والممارسات القمعيّة والإرهابيّة بحقّهم. وإنّ جهود علماء الإماميّة لرفع هذه الضبابيّة في ظلّ الفرص المتاحة لهم، إنما كانت في الحدّ الأقصى بمثابة تنظيم عقائد الإماميّة وليس إبداع وتجديد هذه العقائد. كما أن الجهود الحثيثة من قبل علماء الإماميّة لبيان أصل الإمامة بشكل صحيح[٧]، لم يكن يعني الاتجاه التجديدي بالنسبة إلى

المؤمنين وعلي بن الحسين وعلي بن موسى وعلي بن محمّد عليهم السلام، وتأويل السنة برسول الله صلى الله عليه وآله، وانطباقها على الآية بما لها من السياق لا يخلو عن خفاء». (العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٧٣).

[١]- لقد استنتج كولبرغ من المقارنة بين نصين أن المخالفين الأصليين والمخططين للشبهات ضد الإمامية هم المعتزلة. (انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٢٤ وص١٩ من هذا العدد من المجلة الفصلية).

[٢]- انظر: الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ص٦٣-٨٣.

[٣]- انظر: م.ن، ص٨٧-٨٨.

[٤]- الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الغيبة، ص١٩٢-١٩٨.

[٥]- الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، ص١٢-١٣.

[٦]- من قبيل نيسابور، حيث أشار الشيخ المفيد إليها في مقدمة كتاب كمال الدين وتمام النعمة، ص٢.

[٧]- إن الكتب أدناه قد تمّ تأليفها بأجمعها حتى نهاية القرن الخامس للهجرة: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، دلائل الإمامة؛ ابن بابويه، علي بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، والإمامة للشيخ الصدوق (نقلاً عن الشيخ الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢، ص٣٣٥)، والشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٠٦هـ)، خصائص الأئمة عليهم السلام؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام؛ الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ويليه إيمان أبي طالب؛ الشريف المرتضى (المتوفى سنة ٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، المراجعة: السيد فاضل الميلاني، والذي تم تلخيصه من قبل الشيخ الطوسي.

هذا الأصل قطعًا. إنّ التطوّر والتنوّع في الأدلّة والعثور على الإجابات الجديدة عن الأسئلة المستجدة، يُعدّ من اللوازم بالنسبة إلى كل علم، ولا يتنافى مع عراقة وأصالة ذلك العلم -أو الفكرة المحددة- وإنّ علم الكلام الشيعي (الاثنى عشري) لا يُعد استثناءً من هذه القاعدة[١]. إن اتساع المباحث والشبهات التي ذكرها الشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) في الفصول العشرة -على سبيل المثال- أو الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) في كتاب الغيبة، بالمقارنة إلى المسائل المذكورة في كتاب الإمامة والتبصرة لابن بابويه (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، والكافي للكليني (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، وكتاب الغيبة للنعماني (المتوفى في منتصف القرن الهجري الرابع)، إنما يُثبت تجذّر هذه الرؤية واتّساع رقعة أبحاثها، وقدرتها على مواجهة الشبهات الجديدة[٢].

وعلى هذا الأساس، فإن الاحتمال الذي يمكن بيانه «بشكل قاطع على نحو وآخر»[٣] هو أنّ الطرح الواسع لفكرة الأئمة الاثنى عشر والإمام الثاني عشر في مصادر القرن الرابع، يُعدّ أمرًا طبيعيًّا وانعكاسًا منطقيًّا للحالة السياسيّة والثقافيّة الجديدة في المجتمع الإسلامي وموقع الإماميّة فيها.

[١]- لقد ذكر كولبرغ استناد الإمامية إلى المعمّرين مما لا وجود له في نصوصهم الأولى، بوصفه من الشواهد على مدّعاه، (انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٢٠٢، من هذا العدد من المجلة الفصلية).

[٢]- قارن ذلك بـ: الأميني، إبراهيم، «سير تاريخي مسأله غيبت»، مفكرة مؤتمر ألفية الشيخ الطوسي، ص٢٨٧-٣١٤.

[٣]- عبارة كولبرغ في مقام خلاصة مقالته، (انظر: كولبرغ (النص الإنجليزي)، ص٥٣٣، وص٢١٢ من هذا العدد من المجلة الفصلية).

الخاتمة

تثبت الوقائع التاريخيّة في مجال النتاج العلمي الاستشراقي أنّه قد تمّ تجاهل الشيعة في الدراسات والأبحاث الاستشراقيّة إلى حدّ كبير، وقد تمّ تقديم صورة خاطئة عن الشيعة والتشيّع، وعلى الرغم من ارتفاع عدد المؤلّفات التي كتبت في العقود الأخيرة حول التشيّع، ولكن لم يتضح ما إذا كانت هذه الزيادة تحظى بالاعتبار التحقيقي أيضًا أم لا.

بالاستناد إلى ما ذكره المستشرق، والمناقشات التي أوردناها يتضح الآتي:

إن نظرية الأئمة الاثني عشر قد وردت في مصادر الإماميّة الأولى (مصادر القرن الثالث للهجرة) بشكل صريح، كما وردت نظريّة الغيبة فيها على نحو ضمني تلويحًا.

إن كاتب المقالة مع غض طرفه عن وجود هذه الأحاديث، حكم -لمجرّد عدم حصوله على دليل على هذه النظريات في المصادر التي لم يصل لنا الجزء الأكبر منها- لعدم قطعيّة هذه النظريّة عند الإماميّة، وإنّ هذا الحكم غير جدير بالوثوق والاعتماد.

إنّ تحليله بشأن دوافع توجّه الإمامية إلى هذه النظريّة مثير للتساؤل جدًّا، وهو زاخر بالغموض والإبهام، ويبدو ناقصًا وضعيفًا.

إنّ هذه التحليلات المطروحة من قبل كاتب المقالة المحترم إنما تكون مقبولة فيما لو تمّ بحث الإمامية بشكل مستقل ومنفصل عن الشرائط والأوضاع السياسيّة/ الثقافيّة في القرون الثلاثة الأولى من تاريخهم.

إنّ أئمّة الشيعة، على الرغم من ظروف التقية التي كانوا يعيشون فيها، بذلوا كل ما بوسعهم من أجل إحياء أصل الإمامة في قلوب الناس وأذهانهم، ولكنهم كانوا في الكثير من الموارد يحجمون حتى عن التعريف بمن يخلفهم في الإمامة رعاية للظروف الأمنيّة.

إنّ تحريم ذكر اسم الإمام الغائب وإخفاء ولادته ومحل اختفائه حتّى على الكثير من الخاصة، ضمن إفشاله للكثير من جهود الخليفة العباسي من أجل العثور عليه، إلّا أنّه أدّى من ناحية أخرى إلى تفاقم الغموض فيما يتعلّق بالإمام الثاني عشر.

إن من بين الأدلّة التي يسوقها كولبرغ على عدم قطعيّة الاعتقاد باثني عشر إمامًا وغيبة آخرهم بين الإماميّة الأوائل، هو عدم تحديد أسماء هؤلاء الأئمّة في النصوص الشيعية الأولى.

يمكن مناقشة مقولته هذه بالقول: إنّ عدم ذكر الاسم لا يُشكّل دليلاً على عدم قطعيّته ومعرفته، وما أكثر الأدلّة والأرضيّات التي توجب عدم بيان وإيضاح أمر معلوم وواضح، ولا سيّما بشأن المهدي؛ حيث كانت توجد مثل هذه الملاحظات بشأنه قطعًا.

بالالتفات إلى وجهة نظر المتكلمين الشيعة يتّضح أنّه لا ينحصر بيان أسماء الأئمّة وصفاتهم بالتعريف بهم في موضع واحد من قبل النبيّ الأكرمﷺ والأئمّة الأوائل، ويكفي أن ينصّ كل إمام سابق على اسم الإمام اللاحق بعده وصفاته وخصائصه.

لائحة المصادر والمراجع

١. آدمز، تشارلز، «نقش شيخ طوسي در دگرگوني نظري علم حقوق»، ترجمه إلى اللغة الفارسية: محمّد حسين ساكت، يادنامه كنگره هزاره شيخ طوسي، إعداد: محمّد واعظ زاده خراساني، ١٣٥٤هـ.ش.

٢. ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (م ٥٩٨هـ)، النوادر أو مستطرفات السرائر، برعاية السيد محمّد باقر الموحد الأبطحي، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣. ابن بابويه، علي بن الحسين (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: السيد محمّد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤. ابن حمزة، عماد الدين محمّد بن علي (حي حتى عام ٥٦٠هـ)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، انتشارات انصاريان، قم، ١٤١٢هـ.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد (المتوفى سنة ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٦. أبو خليل، شوقي، كارل بروكلمان في الميزان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٧. الأشعري، سعد بن عبد الله، المقالات والفرَق، تحقيق: محمّد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي و فرهنگي، طهران، ١٣٦٠هـ.ش.

٨. الإصبهاني، أبو الفرج (المتوفى سنة ٣٦٥هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.

٩. الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، دار الشبستري للمطبوعات، قم، ١٤٠٥هـ.

١٠. افشار، إيرج، فهرست مقالات فارسي، شركت سهامي كتابهاي جيبي، فرانكلين و علمي و فرهنگي، طهران، ١٣٤٨-١٣٦٩هـ.ش.

١١. الأميني، إبراهيم، «سير تاريخي مسأله غيبت»، مفكرة مؤتمر ألفية الشيخ الطوسي، إعداد: محمّد واعظ زاده الخراساني، ١٣٥٤هـ.

١٢. انجوي شيرازي، «علت وجودي استشراق و مستشرق»، مجلة نگين، العدد ٨٥، شهر خرداد (٣)، سنة ١٣٥١هـ.ش.

١٣. بحر العلوم الطباطبائي، السيد محمّد مهدي (متوفى سنة ١٢١٢هـ)، الفوائد الرجالية (رجال بحر العلوم)، تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، مكتبة الصادق عليه السلام، طهران، ١٣٦٣هـ.ش.

١٤. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

١٥. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد (المتوفى سنة ٢٧٤هـ/ ٢٨٠هـ)، رجال البرقي، دانشگاه طهران، طهران.

١٦. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد (م ٢٧٤هـ/ ٢٨٠هـ) المحاسن، تصحيح: السيِّد جلال الدين الحسيني الأرموي، دار الكتب الإسلامية، قم.

١٧. بسيان، نجف قلي، واقعه اعلام جانسوز و ريشه هاي سياسي و اجتماعي آن، انتشارات مدبّر، طهران، ١٣٧٠هـ.ش.

١٨. تاجري، حسين، انتظار بذر انقلاب: نگرشي عميق بر أبعاد فردي و اجتماعي انتظار ظهور و نقد اتهامات وارده بر اين وظيفه سازنده، دفتر تحقيقات و انتشارات بدر، طهران.

١٩. التستري، القاضي السيد نور الله الحسين المرعشي (المتوفى سنة ١٠١٩هـ)، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مع تعليقات آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٢٠. الطهراني، علي، تقيه در اسلام، كتاب فروشي جعفري، مشهد.

٢١. الثقفي، ابن هلال (م ٢٨٣هـ)، الغارات، تقديم وتحقيق: مير جلال الدين الأرموي (المحدّث)، أنجمن آثار ملّي، قم، ١٣٥٥هـ.ش.

٢٢. الثقفي، ابن هلال (م ٢٨٣هـ)، الغارات (الاستنفار والغارات)، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤١١هـ.

٢٣. الجندي، أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٤. الحر العاملي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تصحيح: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٤م.

٢٦. حكيمي، محمّد رضا، «٤٠٠ كتاب در شناخت شيعه»، يادنامه علامه اميني، إعداد السيد جعفر شهيدي ومحمّد رضا حكيمي، شركت سهامي انتشار، طهران، ١٣٥٢هـ.ش.

٢٧. حكيمي، محمّد رضا، «شناخت شيعه»، شيخ آقا بزرگ، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، طهران.

٢٨. الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر (م ما بعد عام ٣٠٠هـ)، قرب الإسناد [ويليه الأشعثيات]، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٢٩. حيدر، أسد، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١م/ ١٣٩٢هـ.

٣٠. الخزاز القمّي الرازي، أبو القاسم علي بن محمّد بن علي (المتوفى في القرن الهجري الرابع)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١هـ.

٣١. الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم الرجال، انتشارات مدينة العلم، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٢. دائرة المعارف بزرگ اسلامي، بإشراف: السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ط٢، طهران، ١٣٦٣هـ.ش.

٣٣. داوري، رضا، وضع كنوني تفكر در ايران، انتشارات سروش، طهران، ١٣٦٣هـ.ش.

٣٤. راسخي نجفي، عباس، نواب اربعه و عظمت مقام هر يك، طهران، ١٣٦٦هـ.ش.

٣٥. رحيم لو، يوسف، «رويه اي از خاورشناسي و روشهاي علمي آن: شرق شناسي، دانشي با أبعاد سياسي و تجارتي»، مجلة نگين، العدد ٨٦، شهر تير (٤)، سنة ١٣٥١هـ.ش.

٣٦. الشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٠٦هـ)، خصائص الأئمّة؛ خصائص أمير المؤمنين، تحقيق: محمّد هادي الأميني، بنياد پژوهشهاي اسلامي، مشهد، ١٤٠٦هـ.

٣٧. ركني، محمّد مهدي، نشاني از امام غائب: بازنگري و تحليل توقيعات، بنياد پژوهشهاي اسلامي، مشهد، ١٣٦٨هـ.ش.

٣٨. السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال، مركز مديريت حوزه علميه قم، قم، ١٤٠٨هـ/ ١٣٦٦هـ.ش.

٣٩. سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت، بيروت.

٤٠. سعيد، إدوارد، شرق شناسي: شرقي كه آفريده غرب است، ترجمه إلى اللغة الفارسية: أصغر عسكري خانقاهي وحامد فولادوند، انتشارات عطائي، طهران، ١٣٦١هـ.ش. (إن هذا الكتاب هو ترجمة القسم الأخير من النص الكامل كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، وقد تمّت ترجمته ونشره قبل عشر سنوات من اكتمال الكامل لأصل الكتاب).

٤١. سعيد، إدوارد، شرق شناسي، ترجمه إلى اللغة الفارسية: عبد الرحيم گواهي، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، طهران، ١٣٧١هـ.ش.

٤٢. شايگان، داريوش، هانري كربن: آفاق تفكر معنوي در اسلام ايراني، ترجمه إلى اللغة الفارسية: باقر پرهام، مؤسسة انتشارات آگاه، طهران، ١٣٧١هـ.ش.

٤٣. شريعتي، علي، فلسفه انتظار (انتظار؛ مذهب اعتراض).

٤٤. الشيرازي، السيد حسن، كلمة الإمام المهدي، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد حسن افتخار زاده، مقابلة وتكميل: حسين تاجري، انتشارات آفاق، طهران، ١٤٠٧هـ.

٤٥. الصافي، لطف الله، انتظار عامل مقاومت و حركت، انتشارات شفق، قم.

٤٦. الصافي، لطف الله، مع الخطيب في خطوطه العريضة، دار القرآن الكريم، قم، ١٣٨٩هـ.

٤٧. الصافي، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، المقدمة، مكتبة الداوري، قم.

٤٨. الصدر، السيد محمّد، تاريخ الغيبة الصغرى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٩. الصدر، السيد محمّد، رسالت اسلامي در عصر غيبت، ترجمه إلى اللغة الفارسية: علي العلوي، دفتر تحقيقات و انتشارات بدر.

٥٠. الصدر، السيد محمّد باقر، امام مهدي حماسه اي از نور، ترجمه إلى اللغة الفارسية: كتابخانه بزرگ اسلامي، مؤسسة الإمام المهدي، طهران، ١٣٩٨هـ.ش.

٥١. الصدر، السيد محمّد باقر، انقلاب مهدي و پندارها، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد أحمد علم الهدى، انتشارات ياسر، طهران.

٥٢. الصدر، السيد محمّد باقر، بحث حول المهدي، تصدير وتقديم: حامد حنفي داود، مكتبة النجاح، طهران، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥٣. الصدوق، محمّد بن علي (المتوفى سنة ٣٨١هـ)، الاعتقادات، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد محمّد علي بن السيد محمّد الحسني، نهضت زنان مسلمان، طهران، ١٣٦١هـ.ش.

٥٤. الصدوق، محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ.ش.

٥٥. الصدوق، محمّد بن علي (م ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، ١٣٦٣هـ.ش/ ١٤٠٥هـ.

٥٦. صفائي، سيد أحمد، هشام بن الحكم: متكلم معروف قرن دوم هجري، دانشگاه طهران، طهران، ١٣٤٢هـ.ش.

٥٧. الصفار القمي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ (م ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، تصحيح: الميرزا محسن كوچه باغي التبريزي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.

٥٨. العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٣٦٧هـ.ش.

٥٩. العلامة الطباطبائي، السيد محمّد حسين، شيعه در اسلام، دفتر انتشارات اسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٣٦٧هـ.ش.

٦٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (المتوفى في القرن السادس للهجرة)، إعلام الورى بأعلام الورى، تصحيح: علي أكبر غفاري صفت، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٦١. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (المتوفى في القرن السادس للهجرة)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٣هـ.

٦٢. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تصحيح: لجنة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٣. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، دلائل الإمامة، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣هـ.ش.

٦٤. الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، عُدّة الأصول، تحقيق: محمّد مهدي نجف، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٥. الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.

٦٦. الطوسي، محمّد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، الفهرست، تصحيح: السيد محمّد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي، قم.

٦٧. الطهراني، آغا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تحقيق: أحمد منزوي، النجف وطهران.

٦٨. العباد، عبد المحسن بن حمد، الرد على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، الإمام المهدي عند أهل السنة، إعداد مهدي فقيه إيماني، مكتبة أمير المؤمنين العامة، إصفهان، ١٤٠٢هـ.

٦٩. العقاد، عباس محمود، ما يقال عن الإسلام، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٧٠. العقيقي، نجيب، المستشرقون (ثلاثة أجزاء)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

٧١. الغفاري، علي أكبر، تاريخ تدوين الحديث وكتابته، تلخيص مقباس الهداية (الملحق الأول)، جامعة الإمام الصادق عليه السلام (بالتعاون مع نشر: الصدوق)، ١٣٦٩هـ.ش.

٧٢. فاروق، عمر، العباسيون الأوائل، بيروت (بمساعدة جامعة بغداد)، ١٣٩٠هـ.ش.

٧٣. فراي، ريتشارد، ن.، ميراث باستاني ايران، ترجمه إلى اللغة الفارسية: مسعود رجب نيا، شركت انتشارات علمي و فرهنگي، طهران، ١٣٦٨هـ.ش.

٧٤. فقيه إيماني، مهدي، الإمام المهدي عند أهل السنة، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، إصفهان، ١٤٠٢هـ.

٧٥. فلاطوري، عبد الجواد، «تحقيق عقايد و علوم شيعي»، يادنامه علامه اميني، إعداد السيد جعفر شهيدي ومحمّد رضا حكيمي، شركت سهامي انتشار، طهران، ١٣٥٢هـ.ش.

٧٦. الفيض الكاشاني، المولى محسن بن مرتضى (المتوفى سنة ١٠٩١هـ)، نوادر الأخبار في ما يتعلق بأصول الدين، تحقيق: مهدي الأنصاري القمي، مؤسسة مطالعات و تحقيقات علمي و فرهنگي، ١٣٧٠هـ.ش.

٧٧. كاظم زاده ايرانشهر، حسين، «شرق شناسي و غرب شناسي»، انتشارات إيرانشهر، ١٩٢٢م.

٧٨. الكليني، محمّد بن يعقوب، الأصول من الكافي، تصحيح علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.ش.

٧٩. الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (م القرن الثالث للهجرة)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٨٠. كولبرغ، إيتان، كتابخانه ابن طاووس و احوال و آثار او، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد علي قرائي ورسول جعفريان، المكتبة العامة لآية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، قم، ١٣٧١هـ.ش.

٨١. كيهان، أ.، «فرهنگ ملي وفانوس كشان استعمار»، مجلة نگين، العدد ٨٦، ، شهر تير (٤)، سنة ١٣٥١هـ.ش.

٨٢. العلامة المجلسي، محمّد باقر (المتوفى سنة ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٣. الشريف المرتضى (المتوفى سنة ٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، المراجعة: السيد فاضل الميلاني، انتشارات إسماعيليان، قم، ١٤١٠هـ/ ١٣٦٨هـ.ش.

٨٤. مرتضى العاملي، جعفر، «المهدية بنظرة جديدة»، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٩هـ.

٨٥. المطهري، مرتضى، قيام و انقلاب مهدي از ديدگاه فلسفه تاريخ (مع ملحق الشهيد)، انتشارات صدرا، ١٣٩٨هـ.

٨٦. معجم أحاديث الإمام المهدي، إشراف الشيخ علي الكوراني، (أربعة أجزاء)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.

٨٧. المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد هاشم رسولي محلاتي، انتشارات علميه اسلاميه، طهران.

٨٨. الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ويليه إيمان أبي طالب، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٢هـ.

٨٩. الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، تقديم وتعليق: السيد هبة الدين الشهرستاني، ١٣٦٣هـ.ش.

٩٠. الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، ده انتقاد و پاسخ پيرامون غيبت حضرت مهدي عجل الله فرجه، (الفصول العشرة في الغيبة)، ترجمه إلى اللغة الفارسية: محمّد باقر خالصي، نشر راه امام، طهران، ١٣٦١هـ.ش.

٩١. الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (المتوفى سنة ٤١٣هـ)، محمّد بن محمّد، الفصول

العشرة في الغيبة (مع ثلاث رسائل أخرى)، دار الكتاب، قم.

٩٢. منتظر، حسين، ذهنيت مستشرقين و اصالت مهدويت، نشر آفاق، طهران، ١٤٠٣هـ.

٩٣. مهدي، محسن، فلسفه تاريخ ابن خلدون، ترجمه إلى اللغة الفارسية: مجيد مسعودي، بنگاه ترجمه و نشر كتاب، طهران، ١٣٥٢هـ.ش.

٩٤. الناصري، رياض محمّد حبيب، الواقفية: دراسة تحليلية، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد، ١٤٠٩هـ.

٩٥. النعماني، محمّد بن إبراهيم (ابن أبي زينب) (المتوفى في القرن الرابع للهجرة)، الغيبة، تحقيق: علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران.

٩٦. النوبختي، الحسن بن موسى (المتوفى سنة ٣٢٠هـ)، فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٩٧. واط، مونتغمري، «نكاتي از فهرست شيخ طوسي مربوط به دوران اوليه امامت»، ترجمه إلى اللغة الفارسية: السيد جلال حسيني بدخشاني، يادنامه كنگره هزاره شيخ طوسي، ثلاثة أجزاء، إعداد: محمّد واعظ زاده خراساني، ١٣٥٤هـ.ش.

٩٨. «Islamic Messianism» Mireea Eliade (E. D.), The Encyclopedia of Religion, V. 9, New York, Macmilan publishing company, 1987.

99. Mahdi A Number of orientalists, Encyclopedia of Islam, New Edition (EI2), V. 5, Leiden, E. J – bril. 1986.